الوعي الإسلامي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

فضل الخط والتوزيع الجغرافي لنساخ القرآن الكريم

تأليف
أ.د/ وليد عبدالله المنيس
جامعة الكويت

الإصدار مائة وأربعة وعشرون ١٤٣٧ هـ / ٢٠١٦ م

فصل
الخط والتوزيع الجغرافي
لنساخ القرآن الكريم

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

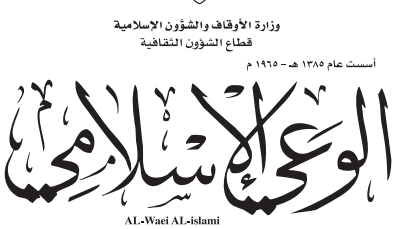

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر هجري

جميع الحقوق محفوظة

الإصدار مائة وأربعة وعشرون
١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م

العنوان:
ص.ب ٢٣٦٦٧
الرمز البريدي ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني
info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني
www.alwaei.gov.kw

أسرة التحرير
د/ صالح سالم النهام

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami

فضل الخط والتوزيع الجغرافي لنساخ القرآن الكريم

تأليف
أ.د/ وليد عبدالله المنيس
جامعة الكويت

الإصدار مائة وأربعة وعشرون
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلامًا دائمين علىٰ خير رسله وأنبيائه، أما بعد:

فهذا إصدار جديد من إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» بعنوان: «فضل الخط والتوزيع الجغرافي لنسّاخ القرآن الكريم»، لمؤلفه الأستاذ الدكتور/ وليد عبدالله المنيّس، وهو مؤلَّف ممتع جامع، تتبَّع فيه مؤلفه سير الخط العربي من عصوره الأولىٰ، وما اختلط به من ثقافات مختلفة متعددة، وكيف تطوَّر وصُقِل عبر مراحل عدَّة، وفي أماكن كثيرة، شرقًا وغربًا، عند العجم والعرب وغيرهم، حتىٰ كان بحقٍّ آيةً من الجمال، يفخر بها كل من يحب الذوق والجمال.

ولقد تلقىٰ العرب فنَّ الخط يومَ كانوا بداة أعرابًا، لا يقرأ ولا يكتب منهم غير نفرٍ قليل، ولم يكن لديهم من أسباب الاستقرار والمدنية ما يدعو إلىٰ تعلم الخط، بله الابتكار فيه، والتفنن في ممارسته.

وحين أكرمهم الله بالرسالة، وشرَّفهم بمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصار لهم في العالم حظوة ومهابة، وصارت لهم دولة تنتشر شرقًا وغربًا، تعددت ثقافتهم وتنوعت، وكثر العلماء والمبدعون، ونافسوا فارس والروم، بل وفاقوهم، حتىٰ إن العلم تعددت عواصمه في الإسلام؛ فانتشر

في مكة والمدينة وبغداد ودمشق والكوفة والبصرة ومصر وبلاد المغرب والأندلس؛ فاتجهوا -فيما اعتنوا به- إلىٰ الخط يحسِّنونه ويجوِّدونه، ويبتكرون فيه أنواعًا جديدة وأنماطًا غاية في الحُسن والإبداع.

وكان العرب يميلون إلىٰ تسمية الخطوط بأسماء الأقاليم التي عرفت بها، لذلك عرف الخط العربي قديمًا بالنبطي والحيري والأنباري، وعندما استقر الخط العربي في مكة والمدينة وبدأ ينتشر منهما إلىٰ جهات أخرىٰ؛ عرف بالمكي والمدني.

ثم نال الخط العربي في عهد بني أمية وبني العباس قدرًا من التجديد والإتقان في العراق والشام، وفي الدولتين نشطت حركة العمران؛ فظهرت الكتابات علىٰ الآنية والتُّحف، واعْتُني بكتابة المصاحف وزخرفتها، إلىٰ غير ذلك من الفتوح العلمية للخطوط العربية.

لقد أحرز الخط في العصر الأموي سبقًا متميزًا، واستطاع أن يُبرز ولأول مرة الخَطَّاط كمبدع وفنان، وكشف مهنته إلىٰ الوجود، حتىٰ لمع نجْم عدد وافر من الخطّاطين، وعُرفت أنواع جديدة من الخطوط؛ كخط الجليل، وخط الطومار، وخط الثلث، وخط الثلثين، وما كاد الخطاطون يفرحون بتلك المكانة في دمشق، حتىٰ أخذ العباسيون عرش الخلافة، فاتجهت أنظار الخطاطين والفنانين إلىٰ بغداد عاصمة الدولة العباسية، وإذا كان العصر الأموي للخط عصر تأسيس وبناء؛ فإن العصر العباسي عصر ازدهار ورخاء وتفنن.

وفكرة الكتاب الرئيسة تتمحور حول فضيلة الخط وأصوله وبعض أحكامه، ومواطنه المكانية، وأشهر الخطاطين عبر التاريخ، ونسَّاخ

المصحف الشريف، وبيان بلدانهم، وتفصيل بيئاتهم الجغرافية للوقوف علىٰ أهم أنماط حياتهم، التي أثرت علىٰ صناعة الخط وتجويده وتجميله.

ولعل من أبرز ما يشد القارئ إلىٰ هذا الإصدار الممتع، سعة اطلاع مؤلفه علىٰ مادة الكتاب المنتشرة في فنون عدة؛ فقد طوَّف في كتب الرجال والأعلام، ومصنفات علوم القرآن، وكتب وحوليات الجغرافيا، وغيرها مما يتصل بالموضوع من قريب أو من بعيد؛ مما جعل الكتاب بحقٍّ موسوعة في بابه.

ومجلة «الوعي الإسلامي» لحرصها علىٰ نشر كل مفيد؛ ها هي بفضل الله تعالىٰ تخرج لطلبة العلم هذا السِّفْر الممتع، وتسأل الله تعالىٰ أن يعينها ويمدَّها بالتوفيق حتىٰ تخرج غيره من الكنوز المخبَّأة التي تنتظر النور، كما تسأله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب وبغيره، والحمد لله أولًا وآخرًا.

أسرة التحرير
د/ صالح سالم النعام

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

المتأمل لتطور الخط العربي في رحلته الطويلة يجد أنه مرَّ بعدة مراحل وتنقل بين عدة أماكن، وتعاطاه أصناف من الناس بثقافات متعددة وفي مواقع أثرت في صقله وتطويره وتجويده، إلىٰ أن انتهىٰ إلىٰ ما هو عليه الآن من إتقان وجمال وإبداع، جعلته محطًّا للأنظار والتأمل والإعجاب.

ويلاحظ أن الخط قد اتخذ مسارًا جغرافيًّا واضحًا بدءًا من مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما أنه استوطن في بعض الأماكن، فبات عَلَمًا عليها، ثم إنه استمر في مسيرته بنقل التلاميذ عن أساتذتهم لما عادوا إلىٰ أوطانهم. ويمكن القول بأن القرآن الكريم نزل في مكة المكرمة، ونسخ في المدينة المنورة، وجُوِّد في العراق والشام ومصر وتركيا عبر العصور الإسلامية إلىٰ الآن.

❁ فكرة البحث:

تدور فكرة البحث حول فضل الخط العربي وأصوله وبعض أحكامه الأساسية، مع التقصي المكاني لمواطن الخط، وما يتصل بذلك من أعلام كان لهم اليد الطولىٰ في ذلك، مع التركيز علىٰ خطَّاط ونسَّاخ وكتَّاب

-بتشديد التاء- المصحف الشريف وتوزيعهم البلداني أو الجغرافي لمعرفة أثر تنوع البيئات الجغرافية علىٰ تنوع نمط الخط وتطوره.

❁ وتتقصى الدراسة القضايا التالية:

أولًا: النصوص الدالة علىٰ فضل الخط العربي.

ثانيًا: نسخ المصحف وأنواع خطوط المصحف.

ثالثًا: التوزيع الجغرافي للخطاطين والمصاحف.

رابعًا: العوامل المؤثرة في تطور الخط.

كلمات دالة علىٰ موضوع البحث: جغرافية بشرية، جغرافية ثقافية، جغرافيا إقليمية، جغرافية الخط العربي، الخط العربي والفنون الإسلامية.

❁ إشكالية الدراسة:

تفترض الدراسة أن مسار الخط بالعلاقة مع نسخ المصحف في رحلته تجويدًا وتنوعًا، قد اتخذ اتجاهًا شماليًّا بدءًا من المدينة المنورة ثم مكة المكرمة، ثم شمالًا بشرق باتجاه الشام والعراق مقر الخلافتين الأموية والعباسية اللتين احتضنتا كبار الخطاطين، وعلىٰ الأخص العهد العباسي، الذي ظهر فيه أئمة الخط، ثم غربًا إلىٰ مصر، ثم شمالًا إلىٰ الدولة العثمانية، التي انتهىٰ إليها الخط بعد أن تولت الخلافة الإسلامية لأكثر من أربعة قرون.

ثم انتقل عدد من الخطاطين المبدعين إلىٰ مقر الخلافة العثمانية، حيث لاقىٰ الخط والخطاطون عناية كبيرة من الخلفاء، حتىٰ إن الخط ظهر في بيت الخلافة ذاته، حين صار كثير من الخلفاء أساتذة في الخط،

مثل الخليفة بايزيد (١٤٤٧-١٥١٢م) وهو أول خليفة خطاط. وقد تتلمذ الخليفة بايزيد علىٰ مؤسس المدرسة العثمانية الخطاط حمد الله الأماسي (١٤٢٩-١٥٢٠م) الملقب بـ«ياقوت الثاني أو ياقوت الروم» لتأثره وتقليده لياقوت المستعصمي إمام الخط وخاتمته في بغداد في العهد العباسي، كما سيأتي.

وترىٰ الدراسة أيضًا أن الخط تطوَّر بأثر جملة من العوامل، أبرزها ما يأتي:

أولًا: إن الخط بدأ وانتشر وتطور عبر الزمن بأثر عوامل مجتمعة، أهمها الإسلام وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، اللذان يحثان علىٰ ذلك ويؤكدان علىٰ أهمية الكتابة والقلم، يظهر ذلك أول ما نزل من القرآن بسورة القلم، التي تنص علىٰ القراءة وتعلم الكتابة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ٣، ٤]، وكذلك أفعال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في اتخاذه للكتّاب -بتشديد التاء- وأمره بالكتابة.

ثانيًا: ظهور عدد من العباقرة المبدعين في الخط والقلم، ممن أثروا في نقل الخط إلىٰ مراحل أكثر تجويدًا وحسنًا، خاصة في رسم الحرف، ووضعوا قوانين وأسسًا سار علىٰ ضوئها مرسوم الخطوط، بل ابتكروا خطوطًا وأقلامًا جديدة غير مسبوقة. وأبرز هؤلاء الأفذاذ، العبقري المبدع ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ) وابن البواب (ت ٤١٣هـ) وياقوت المستعصمي (ت ٦٩٦هـ) في بغداد في عهد الخلافة العباسية.

ثالثًا: التنوع الجغرافي والثقافي والبشري بأثر الفتوحات الإسلامية، التي حملت معها طابع إفادة الخلق وتعليمهم الفضائل، ومنها الخط.

كل ذلك قد وسع المجال الإبداعي وزود الخط بمجالات أرحب وأوسع للتجديد والتطوير والتجميل.

ورابعًا: إن من عوامل تطور الخط التقدم الذي شهدته حرفة الخطاطة والوراقة وصناعة الأحبار وتطور القلم ذاته، وتنوع المواد والألوان بسبب تنوع وتوسع البيئات الإسلامية، كل هذه العوامل وغيرها زودت علم الخط بالتنوع والتمكن والتطور المتسارع.

خامسًا: كذلك من أبرز أسباب تطور الكتابة والخط أن تولاه الخلفاء أنفسهم بالعناية والتشجيع تارة، وبالممارسة تارة أخرىٰ، مع تركيزهم علىٰ نسخ المصحف الذي يقدم علىٰ أي عمل في الخط، وذلك في العهد الراشدي، إضافة إلىٰ تبني الخطاطين فيما بعد وتشجيعهم.

وترىٰ الدراسة أن الإبداع في الخط بدأ في فترة التوسع في الفتوحات خارج حدود المدينة المنورة، باعتبار أن خط المصحف الأول كان خطًّا كوفيًّا في مراحله الأولىٰ القائمة علىٰ كتابة الحرف وتوضيحه للقارئ، خاليًا من التجويد والتنميق، فقد كانت بدايته مبسطة عفوية، وعرف بالمكي باعتبار أن الصحابة كانت معرفتهم بالكتابة به منذ أن كانوا في مكة قبل الهجرة إلىٰ المدينة، وعرف أيضًا بالمدني لأن المصحف أول ما نسخ في المدينة المنورة، وعرف أيضًا بالخط الكوفي نسبة إلىٰ الكوفة التي أنشأها الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في القرن (١٨ هـ).

ومما يذكر أن أصول الخط الكوفي وجدت منذ أيام الحيرة، لكنه نسب إلىٰ الكوفة حين ظهر بوضوح بأثر ظهور قوة الكوفة كثغر حضاري في العهد العمري والعهود اللاحقة، وأن الخليفة عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد اعتنىٰ

بهذا الخط، ونسبه البعض إليه، وأن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله عنه. وأن أول ظهور للخط المبتكر المتحول عن الخط الكوفي كان في الشام في العهد الأموي، لكنه لم يكن واضحًا ومشتهرًا كشهرته في العهد العباسي في بغداد خاصة، والتي تعد حاضرة الخط وحاضنة عباقرة الخط وأساطينه كما سيأتي.

❁ منهج الدراسة:

تستفيد الدراسة من الجغرافيا كعلم واسع، ومن فروعه البشرية والثقافية والحضارية والإقليمية لتقصي الظواهر مكانيًّا، وبتحليل أثر المكان عليها وأثرها في المكان من المنظور الثقافي والبشري، وكذلك أثر الجانب البيئي والطبيعي علىٰ الجانب الحضاري. وهو يفيدنا كثيرًا هنا في بيان أثر الموروث الديني والثقافي علىٰ المكان أو الأمكنة بمكوناتها علىٰ الخط العربي. والخط العربي في رحلته الطويلة، من مرحلة البداية إلىٰ مرحلة التجويد، ترك بصمات واضحة صبغت بعض الأقاليم والأماكن بها، كالكوفة والمدينة المنورة وبغداد ودمشق والقاهرة وأنقرة وغيرها. ففي كل من هذه الحواضر المشهورة ظهر عباقرة طوروا رسم الحرف وتفننوا في عرضه وكتابته.

تتبنىٰ الدراسة المنهج الجغرافي الوصفي التحليلي الذي يتعامل مع التقصي الاستدلالي الذي يتتبع الظاهرة المدروسة زمانًا ومكانًا، مع تحليل وتفسير التساؤلات التي نتجت عن ذلك من خلال المنهج الاستقرائي، إضافة إلىٰ دراسة لكثير من كتب الخط التي تبين مناهج البحث فيه.

كما تستعين الدراسة بعدد من الخرائط المبتكرة التي تيسر الربط بين المؤثرات المكانية والزمانية، كما تتضمن التحليل المكاني للظواهر

المدروسة بقدر ما يسمح به السياق.

ولقد أتقن الجغرافيون المسلمون المتقدمون دراسة الظواهر البشرية، ولا أظن أن هناك منهجية بشرية شاملة كتلك التي تبناها الجغرافي البشري العلامة المقدسي في كتابه القيم «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (طبعة ليدن ١٩٠٦م).

يشير المقدسي إلىٰ منهجه في دراسة الأقاليم الكبرىٰ؛ ويظهر فيه منهج الجغرافية البشرية والعامة والثقافية التي تتعرض لكل ما يتصل بالبشر، ومنها بلا شك الخط والكتابة من منظور شمولي، بقوله:

«ذكر الإقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار، ووصف أمصارها المشهورة ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة، وطرقها المستعملة، وعناصر العقاقير، والآلات، ومعادن الحمل والتجارات، واختلاف أهل البلدان، في كلامهم وأصواتهم، وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم، ونقودهم، وصروفهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم، وما يحمل من عندهم وإليهم، وذكر مواضع الأخطار في المفازات وعدد المنازل في المسافات، وذكر السباخ والصلاب والرمال، والتلال والسهول والجبال، والحواوير، والسماق، والسمين منها والرقاق، ومعادن السعة والخصب، ومواضع الضيق والجدب، وذكر المشاهد والمراصد، والخصائص والرسوم، والممالك والحدود والمخاليف والزموم، والطساسيج والتخوم، والصنائع والعلوم، والباخس والمشاجر، والمناسك والمشاعر...»[1].

(١) المقدسي «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» نشر فؤاد سزكين وآخرين، معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، (١٩٩٢)، (ص٢).

فهذا المنهج الموسع، الذي يغطي الجغرافية البشرية والثقافية والطبيعية والبيئية، وينزل إلىٰ مستوىٰ التفاصيل كالطباع والأنفس والمفاخر والمآخذ إلخ، لا شك يدل علىٰ تطور العلوم عمومًا في تلك الفترة، في الوقت الذي يبين أهمية دراسة الظواهر البشرية المتعددة ذات الطابع المهني والفني، ويفسر العبقريات التي تخصصت بها الأقاليم، ومنها بالطبع الخط والوراقة.

ومن الدراسات المهمة التي استقرأت الجانب الجغرافي البشري والثقافي للعالم الإسلامي، ما عمله أندريه ميكيل (طبع عام ١٩٧٢م) في كتابه «جغرافية دار الإسلام البشرية» في مجلد ضخم يصل حجمه بعد أن ترجم إلىٰ أكثر من (٨٠٠) صفحة، غطىٰ فيها المؤلف مجمل الأدب الجغرافي علىٰ وجه التفصيل. وقد ميز ميكيل (١٩٧٢م) **في أثناء كتابه بين ثلاثة حقول رئيسة في الأدب الجغرافي العربي، هي**[(١)]:

الحقل الأول: الجغرافيا الفلكية، وتصور العالم ووضع الأرض في الكون، وتقسيمها إلىٰ أقاليم ووصف البحار والجبال والأنهار.

وأما الحقل الثاني: فيمكن تسميته بالجغرافيا الطبيعية، والتي تتناول الوسط الطبيعي، كالجبال والأنهار، مع ربط ذلك بالنبات والحيوان والطقس وأنواع التربة.

وأما الحقل الثالث: فقد ضم الوصف البشري إلىٰ الوصف الطبيعي بروح الإداريين والرحالة في آن واحد، مكونًا جغرافية عامة لدار الإسلام، وأقسامها الرئيسة «الجغرافية الإدارية» وتشمل الممالك والمسالك،

(١) أندريه ميكيل، «جغرافية دار الإسلام البشرية» ١٩٧٢، ترجمة إبراهيم خوري، دار الحوار: دمشق، انظر مقدمات الكتاب.

«والجغرافيا الاقتصادية» وتشمل المبادلات والمحاصيل والأسعار، «والجغرافيا الدينية» التي تتناول المدارس والأديان، وأخيرًا: «الجغرافيا اليومية» التي تتناول الألسنة، والأعراف والتقنيات والجغرافيا البيولوجية.

إن المتأمل لما ذكره أندريه ميكيل - خاصة فيما يتعلق بالجانب البشري الجغرافي - يجزم بأن الخط والوراقة مجالهما هنا علىٰ الأخص الجغرافية المهنية، والتقانة التي أسماها الجغرافية اليومية، التي تتطلب - كما هو معروف - مداومة يومية ودربة علىٰ الكتابة بالقلم والتمرن عليه باستمرار للوصول إلىٰ مرحلة التجويد والابتكار.

❁ أدبيات الدراسة:

هناك كم كبير من الدراسات المتعلقة بذلك، مما يدل علىٰ أهمية موضوع الخط، لعل من أبرزها: كتاب «المصاحف» للإمام ابن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ) ابن صاحب «السنن» الإمام أبي داود السجستاني، وهو أشمل ما ذكر في هذا المقام، فقد جرد الحافظ ابن أبي داود الأحاديث والآثار المتعلقة بالمصاحف رواية بالسند، وبالطبع فإن الدراسة لا تستغني أيضًا عن الأمهات من كتب الحديث والسنن، وهي غنية عن التعريف. ومن ذلك كتاب «التراتيب الإدارية» لمحمد عبدالحي الكتاني، بطبعته الجديدة (٢٠١١م)، وهو أشمل وأحسن ما كتب عن سنة النبي، في إدارة الدولة والكتابة والكتَّاب -بتشديد التاء- في العهد النبوي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الشريف وعهد الخلافة الراشدة والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بما لا زيادة عليه.

ومن ذلك أيضًا الدراسة الشاملة القيِّمة للعلامة محمد طاهر الكردي الخطاط، بعنوان «تاريخ الخط العربي وآدابه» طبع عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)

والتي تعد أشمل دراسة، وربما هي أول كتاب في شأن الخط منذ بدايته، وقد صرح المؤلف بأنه الأول في بابه بهذا التفصيل والترتيب.

وأيضًا كتاب «الأوائل» لابن قتيبة الدينوري طبع عام (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) رغم صغر حجمه، أي: الأوائل في كل شأن، ومنه الخط، وهناك الكتاب القيم «رسالة في الخط والقلم» لابن الصائغ أحد أشهر الخطاطين وعميدهم في مصر المملوكية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، تحقيق فاروق سعد (١٩٩٧م)، تميز هذا الكتاب بحسن السبك والسرد لمحاسن اللفظ والخط وقصة الكتابة من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، مرورًا بأئمة الخط، ومنها كتاب الجهشياري «الوزراء والكتاب» طبع عام (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) اعتنىٰ به إبراهيم صالح، حيث تابع الكتابة من العهد النبوي الشريف وقبله بقليل إلىٰ عصر المعتضد بالله العباسي، وتناول الخطاطين في كل عهد خاصة كتَّاب الخلفاء والملوك.

وأيضًا كتاب «الخط» لأبي القاسم عبدالرحمن الزجّاجي[١] (ت ٣٤٠هـ) بتحقيق تركي العتيبي حول الكتابة وأقسامها مع التعرض للخط، طبع عام (٢٠٠٩م).

يضاف إلىٰ ذلك مرجع مهم هو «دراسة في تطور الكتابات الكوفية»[٢]

---

(١) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، «كتاب الخط» بتحقيق تركي العتيبي، توفي (٣٤٠ هـ)، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) دار صادر: بيروت. يبحث في عناية النحويين المتقدمين بالخط والكتابة الصحيحة، وأصول وقواعد الخط؛ وهي رسالة صغيرة الحجم جليلة القدر للزجاجي أحد أئمة النحو.

(٢) إبراهيم جمعة، «دراسة في تطور الكتابات الكوفية» (١٩٦٧م)، يعد من أجود ما كتب عن الخط الكوفي، مع تحليل مكاني وإقليمي لهذا الخط ومسيرته التاريخية،=

لإبراهيم جمعة وهو مهم جدًّا لبيان تاريخ الخط الكوفي بأسلوب وثائقي وتاريخي رصين، وقد استفادت منه هذه الدراسة بشكل كبير، طبع في عام ١٩٦٧م.

وهناك «الخطاطة والكتابة العربية»[١] لعبدالعزيز الدالي، طبع عام (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، وهي دراسة شاملة دقيقة في معلوماتها، وهذه الدراسة رغم صغر حجمها فقد انتفعتُ بها بشكل كبير. وكذلك هناك دراسة محمود الجبوري «خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتىٰ عصر ابن البواب»[٢] طبع في (١٤٣٠هـ/ ٢٠١٣م)، وهناك «رحلة المصحف الشريف من الجريد إلىٰ التجليد»[٣]: لحسن قاسم حبش البياتي، طبع

= ناقش خط المصاحف والمبرزين فيه وركز اهتمامه علىٰ الخط الكوفي ونقوشه الحجرية، وفي مصر خاصة، مع الصور واللوحات، نشر دار الفكر: مصر.

(١) عبدالعزيز الدالي، «الخطاطة والكتابة العربية» (١٩٩٦م)، طبع مكتبة الخانجي: مصر. وهو مرجع مهم رغم صغر حجمه، يبحث في أصول الكتابة ونشأتها وتطورها والتعرف علىٰ الخطاطين المبرزين في كل طور، خاصة الرواد، وهو معززٌ بلوحات الخطوط بأنواعها.

(٢) محمود عباد الجبوري، «خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتىٰ عصر ابن البواب»، (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، الدار العربية للموسوعات، وهو كتاب مهم متوسط الحجم، ناقش فيه المؤلف قضايا مهمة تتصل بالخط، مثل تدوين القرآن الكريم، وخط المصاحف في العصر الراشدي، ودراسة الخط في مصاحف العصر الأموي ثم العصر العباسي، مع التركيز علىٰ عباقرة الخط، مثل ابن مقلة وابن البواب، ثم الإعجام وموضوعه، ثم تذهيب المصاحف خلال القرن الثالث الهجري.

(٣) حسن قاسم البياتي، «رحلة المصحف الشريف من الجريد إلىٰ التجليد (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، حول المصحف نسخًا وتجليدًا وتذهيبًا، وأصل الكتابة العربية=

(١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، أيضًا العمل الموسوعي الكبير لكوركيس عواد المجلد الثاني «الذخائر الشرقية» لمعظم المصادر والرسائل والمراجع العربية في الخط. ومنها «أحكام الكتب» تأليف ياسين بن كرامة الله مخدوم، طبع (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) يتناول أحكام الكتابة والكتب من المنظور الفقهي، ومنها «معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين» لعفيف البهنسي، يتعامل مع مصطلحات الخط والقلم وأعلام الخط بسياق معجمي لكل ما يتصل بالخط، مع مقدمة علمية حول نشأة الكتابة وأدوات الخط وأنواعه وأنواع القلم، مع الاستدلال بالصور والوثائق الخطية. طبع في (١٩٩٥م)، وأخيرًا «موسوعة الوراقة والوراقين» لخير الله سعيد[١]، في ثلاثة مجلدات طبعت (٢٠١١م) وهي دراسة موسوعية شاملة للوراقين خاصة في بغداد وما يتصل بذلك من الخط وأحواله.

وهناك «الخط والخطاطون» لحبيب أفندي بيدابيش[٢] (ترجمة سامية

= بطريقة مبتكرة علىٰ شكل موسوعي بحسب الموضوع، وكذلك الحبر وأنواعه والمصاحف المشهورة بدءًا من المصحف الإمام، طبع دار القلم: بيروت.

(١) خير الله سعيد «موسوعة الوراقة والوراقين» (٢٠١١م) الانتشار العربي: بيروت، وهي موسوعة جديدة في بابها، تسلط الضوء علىٰ الوراقة والوراقين في الحضارة الإسلامية، وهي تعادل دور النشر بمصطلح اليوم، ودورها التاريخي، باعتبار أنها من صناع الثقافة العربية الإسلامية القائمة علىٰ صناعة الكتابة والكتاب، أما إطارها الزمني فهو (١٤٥هـ إلىٰ ٦٥٦هـ) (٧٣٧م-١٢٥٨م) بمعنىٰ أن أخبار هذا الكتاب تنتهي مع سقوط الدولة العباسية علىٰ يد المغول.

(٢) حبيب أفندي بيدابيش (ترجمة سامية محمد جلال) مراجعة الصفصافي القطوري، يعد هذا العمل من الأعمال الرصينة والمفيدة للبحث ويقرب من عمل محمد طاهر الكردي سابق الذكر غير أنه متقدم عليه، حيث إنه ألف عام (١٣٠٥هـ - ١٨٨٤م)، استفادت منه الدراسة كثيرًا وركز الباحث علىٰ=

محمد جلال) طبع عام (٢٠١٠م) حول مشاهير الخطاطين، خاصة في العهود العثمانية وقد حوىٰ معلومات مفصلة عن الخط، فهو كتاب شامل.

وكذلك «طبقات الخطاطين»[١] لهاشم محمد الخطاط البغدادي، بتحقيق إدهام حنش طبع سنة (٢٠٠٨م)، حيث عرض فيه طبقات الخطاطين من العصر العباسي، ثم بالحديث عن خطاطي العهد العثماني، ثم عن خطاطي مصر فالشام فالعراق ثم الفرس.

وهناك الدراسات القيمة التي جمعت في مجلد ضخم بعنوان «علم المخطوط العربي»[٢] إصدار رقم: (٧٩) اشتمل علىٰ عدة دراسات معمقة

= المدرسة العثمانية في الخط، وتحدث عن أئمة الخط كابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي وتلامذتهم، ثم حمدالله الأماسي إمام الخط في الدولة العثمانية وتلامذته، كما أنه ركز علىٰ خطاطي الممالك العثمانية، مع الصور والرسوم المبينة لذلك، مع الشرح نثرًا وشعرًا.

(١) هاشم محمد الخطاط «طبقات الخطاطين» (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) تحقيق وتحرير: إدهام محمد حنش، طبع دار الكتاب الثقافي: إربد - الأردن. مرجع مهم وتم إخراجه بطريقة الكراسات أو الأمشاق، وتبرز أهميته من كونه كراسًا للخطاط الأستاذ هاشم محمد البغدادي، اعتنىٰ به المحقق، وتبرز أهميته في أنه تناول طبقات الخطاطين علىٰ وجه التفصيل، مما يجعله مرجعًا مهمًّا خدمه المحقق إدهام حنش خدمة جليلة.

(٢) المعهد العربي للمخطوطات، «علم المخطوط العربي: بحوث ودراسات»، نشر مجلة الوعي الإسلامي رقم (٧٩) (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م) بعناية رئيس التحرير: فيصل يوسف العلي وزارة الأوقاف: الكويت، اشتمل علىٰ ٩ دراسات مهمة في الخط والمصاحف، منها دراسة «خطوط المصحف» لإدهام حنش، كما اشتمل علىٰ دراسة لمصطفىٰ الطوبي «دراسة تنظيرية»، وعبدالستار الحلوجي «تاريخ المخطوط العربي»، وحسن حسني عبدالوهاب «صناعة المخطوط»، ولطف=

مثل تاريخ المخطوط العربي، صناعة المخطوط، النساخة والخطوط... إلخ، صدر أصلًا من معهد المخطوطات العربية. وهناك دراسة حديثة بعنوان «معجم الرسم العثماني» لبشر الحميري (١٤٢٦هـ/ ٢٠١٥م)، تشمل عدة مجلدات، مركز تفسير الدراسات القرآنية الجزء الأول (رقم ١٩)، مقدمة المعجم مهمة في تقرير الرسم العثماني في سياق تطور الخط، وهناك مجموعة الجغرافيا الإسلامية التي نشرها معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، إصدار فؤاد سزكين وآخرين (١٩٩٢م) منها كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»[1] للعلامة المقدسي الذي طبع أصلا في عام (١٩٠٦م) (طبعة ليدن)، وهو من أهم الإصدارات في بيان المنهج الجغرافي في دراسة الإقليم البشري خاصة حين قسم العالم إلىٰ خمسة عشر إقليما.

❁ ❁ ❁

= الله قاري «الحبر والمداد».

(١) المقدسي، هو شمس الدين بن عبدالله بن محمد بن أبي بكر الشامي المقدسي، وكتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، بعناية: فؤاد سزكين وآخرين (١٩٩٢)، نشر أصلًا في مدينة (ليدن) ١٩٠٦م- مجلد ٢٦.

أولًا: النصوص الدالة على فضل الخط والقلم وأحكامه

ذكرالله تعالىٰ القلم في أول ما أنزل بقوله تعالىٰ: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٣ - ٥]، فقرن القراءة بالقلم باعتبار أن الخط والبيان يتقاسمان فضيلة البيان، فالخط دال علىٰ الألفاظ، والألفاظ دالة علىٰ الإفهام (ابن الصائغ ٢٠٠٩: ٤٧). وأقسم الله تعالىٰ بالقلم في قوله: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، في القلم وما يسطره من كتابة، وأنه روي أن: ﴿نٓۚ﴾ تعني الدواة كما ذكر ابن عباس في «تفسير ابن كثير». وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ [العنكبوت: ٤٨] فيه ذكر الخط وأن الكتابة غالبًا ما تكون باليمين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ﴾ [لقمان: ٢٧] فيها عن عظمة وسعة علم الرب الحكيم، وكذلك ذكر القلم والمداد.

وجاء في حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقول: «**أول ما خلق الله تعالىٰ القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة**» (رواه أحمد والترمذي)، فيه عن مكانة القلم، وليست الأولية أولية سبق، والمعنىٰ:

لما خلق الله القلم، وليس أن القلم أول المخلوقات. وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قيدوا العلم بالكتابة**» (رواه الترمذي).

وذكر أهل العلم أن الأقلام ثلاثة: أولها: الذي خلقه الله، والثاني: قلم المَلَك الذي يسجل أعمال العبد، والثالث: القلم الذي يستعمله الناس.

ومن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت علىٰ أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا علىٰ أن يضروك، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح)، أي: جفت كتابة القلم للمقادير، وانتهىٰ الرب عز وجل من ذلك.

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] أي: الخط، والعرب تقول: الخط أحد اللسانين.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٢٩] أي: يعلمهم الكتابة والكتب. وقال تعالىٰ في سورة يوسف: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] قال ابن عباس: «كاتب حاسب» (ابن الصائغ، ١٩٩٧: ٤٨). وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥٣] أي: مسطر مكتوب علىٰ أسطر. وقال تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] يشمل البيان اللفظي والخطي.

ولشرف القلم فإن أول من خط بالقلم نبي، هو النبي إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما في «تفسير الجلالين» لسورة القلم، وذكره ابن قتيبة في «الأوائل» (ص ٢٦). وقيل: إن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أول من كتب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] يتضمن الكتابة، ولهذا يقول البعض إن الكتابة

توقيفية من الله عَزَّوَجَلَّ كتبها، آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه فأصاب إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكتاب العربي، الجهشياري (٢٠٠٩م).

وهو أيضًا من سمات الأكابر من الناس، وكانت العرب[١] تطلق علىٰ من استوفىٰ شروط المروءة واستطاع أن يكتب مسمىٰ: «الكامل»، بقولهم: كان من يحسن العوم والرمي والكتابة يسمىٰ كاملًا (عبدالعزيز الدالي ١٩٩٦:١٦).

والمتأمل لكتَّاب - بتشديد التاء - النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما سيأتي، يجد أنهم كُمّل الرجال وأشرف القوم، ومن أكابر الصحابة كأبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وزيد، ومعاوية، وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، فهم يجيدون ذلك.

وقد اتخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنفسه كُتَّابا - بتشديد التاء - من

---

(١) وقال ابن الصائغ في كتابه «رسالة في الخط وبري القلم» ما نصه: وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن أول من وضع العربية ثلاثة رجال من بَوْلَان، وبَوْلَان قبيلة من طَيِّئ، نزلوا مدينة الأنبار وهم: مرار بن مرة، أسلم بن سدرة، عامر بن حدرة، اجتمعوا فوضعوا حروفًا مقطعة وموصولة ثم أقاموا علىٰ السيريانية، فأما مرار فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام، ثم نقل هذا العلم إلىٰ مكة وتداوله الناس. وقيل: أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طسم، كانوا نزولًا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت. فوضعوا الكتابة علىٰ أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفًا ليست من أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف، وهي الثاء المثلثة والخاء والذال والظاء والعين والضاد المعجمات علىٰ حسب ما يلحق من حروف الجمل، انظر (ص ٥٢)، مصدر سابق.

أجلاء الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لكتابة الوحي وللمكاتبات مع الملوك، وهم كما ذكر محمد طاهر الكردي الخطاط (١٩٣٩م):

الخلفاء الراشدون الأربعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وزيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – وكانا ملازمين للكتابة بين يدي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الوحي، وعرف عن زيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان يلقب بكاتب الوحي، وأبو سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وسعيد بن العاص، وولده خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، والزبير بن العوام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وطلحة بن عبيد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعبدالله بن أبي السرح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وثابت بن قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحنظلة بن الربيع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وشرحبيل بن حسنة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والعلاء الحضرمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وخالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعمروبن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والمغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومعيقب بن أبي فاطمة الدوسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعبدالله بن العامري رضي الله عنهم أجمعين، انظر شكل رقم (١) وشكل (٢).

❋ ❋ ❋

شكل (١) «الكتّاب الأوائل»

بعض من كُتّاب خاتم الرسل و الأنبياء
محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عثمان بن عفان رضي الله عنه
علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أبو سفيان رضي الله عنه
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه
يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه
زيد بن ثابت رضي الله عنه
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
خالد بن الوليد رضي الله عنه
عمرو بن العاص رضي الله عنه
طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه
الزبير بن العوام رضي الله عنه
سعيد بن العاص رضي الله عنه
أبان رضي الله عنه
خالد رضي الله عنه
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
عبدالله بن رواحة رضي الله عنه
عبدالله بن الأرقم رضي الله عنه
العلاء الحضرمي رضي الله عنه
معيقيب الدوسي رضي الله عنه
حويطب العامري رضي الله عنه
عامر بن فهيرة رضي الله عنه
عبدالله بن أبي سرح رضي الله عنه
حنظلة بن الربيع رضي الله عنه
شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه
أبي بن كعب رضي الله عنه
ثابت بن قيس رضي الله عنه

شكل (٢)

شكل (٢).

الكتاب الأوائل

والعناية بالخط صناعة شريفة، كما قال ابن خلدون:

«إن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وهو رسومات وأشكال حرفية تدل علىٰ الكلمات المسموعة الدالة علىٰ ما في النفس، فهو ثاني رتبة علىٰ الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة وخروجها في الإنسان من القوة إلىٰ الفعل إنما يكون بالتعلم،... كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلىٰ الغاية في الإحكام والإتقان والإجادة؛ - في بادئ الأمر - لمكان العرب وبعدهم عن الصنائع... واعلم أن الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية»، (بتصرف؛ علي عبدالواحد وافي ٢٠٠٦م).

قال أبوالفتح البستي:

إذا أقسم الأبطال يومًا بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم

كفىٰ قلم الكتاب مجدًا ورفعة مدىٰ الدهر أن الله أقسم بالقلم

وفوائد القلم لا تُعدُّ ولا تحصىٰ، ومن أبرزها: نسخ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتصنيف كتب العلم وتعليمه، والمراسلات، وتقلد المناصب. وجاء في مقدمة «كتاب الخط» للزجاجي (ت ٣٤٠هـ / ٢٠٠٩م)، قال الزركشي: الخط ثلاثة: خط يتبع به الاقتداء السلفي، وهو رسم المصحف، وخط العروض، وخط جرىٰ علىٰ العادة المعروفة وهو الكتابة الإملائية.

أما قواعد الكتابة العامة التي تتصل بالنسخ وبالخط عمومًا فمنها ما جاء في مقدمة «كتاب الخط » للزجاجي (٢٠٠٩م) أيضًا:

أولًا: القاعدة الأولىٰ: أن الكتابة عرفية في جميع صورها، حتىٰ مع الحذف والاختصار أو الزيادة، وأنه لا يجوز مخالفة ما تعارف عليه الناس، كحذف الألف من بسم الله الرحمن الرحيم، وقد ضرب عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أحد الكتاب لما كتب البسملة بدون سين؛ لأنه لا يجوز حذفها.

ثانيا: القاعدة الثانية: الاستفاضة، وهي الشهرة وكثرة الاستعمال، فيغلب عليها هذا الرسم أو ذاك، كحذف ألف (مالك) في الرسم مثلًا.

ثالثا: القاعدة الثالثة: إزالة اللبس، وهذه يصار إليها دفعًا للالتباس أو اشتباه الألفاظ، مثل رسم «ذلك» دون ألف بعد الذال لئلا تقرأ «ذا لك»، ومائة تكتب الألف ولا تنطق حتىٰ لا تلتبس مع الهمزة علىٰ النبرة.

رابعا: القاعدة الرابعة: مراعاة الأصل، أي: ما إذا كان أصل الألف واوًا أو ياء، فإن كان أصلها واوًا كتبت ألفًا في الثلاثي، وإن كان أصلها ياء كتبت بالألف اللينة.

❁ أما أهمية الخط فتبرز في ثلاثة أمور قبل التعرض لنسخ المصاحف، وهي:

(١) أثره في الأحكام الفقهية.

(٢) أثره في تقلد المناصب.

(٣) أثره في التأليف والإبداع والابتكار.

◈ أما بشأن (١): أثره في الأحكام الفقهية:

فالخط معتبر في كثير من أبواب وفصول الفقه ومسائله، منها علىٰ

سبيل المثال في باب البيوع، والكتابة، والوصية، والطلاق، وباب القضاء وغيرها. فعقود البيع بأنواعها كبيع خيار المجلس الذي يلزم بمجرد العقد إذا تبايعا علىٰ أن لا خيار مثلًا، أو أن يسقطاه بعد العقد، وخيار الشرط وخيار الغبن والتدليس وغيرها من أنواع البيوع، لا تتم إلا بالكتابة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وكذلك السلعة يدفع ثمنها بما هو مكتوب عليها، وكذلك الوصية يؤخذ بها إن كانت موثقة بالكتابة، ويجب العمل بها لقولهم: وتصح الوصية بلفظ مسموع من الموصي بلا خلاف وبخطه (الضويان، ١٤٢١هـ) لحديث ابن عمر: «لا يحل لامرئ عنده شيء يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه» كما أن الوصية كانت تكتب بطريقة خاصة، مثلًا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصىٰ به فلان بن فلان: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصىٰ من ترك من أهله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصىٰ به يعقوب بنيه...» ثم يباشر في بيان الوصية (الضويان، ١٤٢١هـ)، وهذا يستدعي أن يكون الكاتب ذا خط مميز وواضح.

وفي «باب البيوع» يؤخذ بالثمن المكتوب علىٰ السلعة علىٰ أنه ثمنها المعلن، قال في «الفروع»: ويعمل بخط أبيه علىٰ كيس لفلان كخطه بدين له، ونقل صاحب «الفروع» أيضًا قولهم: «يجوز أن يحلف علىٰ ما لا يجوز الشهادة به، مثل أن يجد بخطه دينًا له علىٰ إنسان وهو يعرف أنه لا يكتب إلا حقًّا» ابن مفلح (٤/ ٤٨٨).

وفي «باب الكتابة»: إذا أراد الرقيق أن يشتري نفسه من سيده فيكاتب سيده علىٰ الثمن المتفق عليه، ثم يسدد ما عليه بنجمين فصاعدا، والنجم هو القسط، وكل ذلك لا يتم إلا بالكتابة والتقييد لكل قسط تم تسديده. وكذلك فإن الرقيق يزاد في قيمته إذا كان كاتبًا، وتقل قيمته إذا لم يعرف الكتابة، وكان يؤخذ إلىٰ ما يعرف بالمكتب وهو موضع تعليم الكتابة والأدب «حاشية العنقري علىٰ الروض المربع» (٣/ ٥٦).

ويسن مكاتبة من له كسب وصنعة – ومنها الكتابة – حتىٰ يفيد ويستفيد، كما هو مقرر، «الروض المربع» (٢/ ٢٩٧).

وفي «باب الطلاق»: لو كتب الرجل الطلاق يقع، كما في قولهم:

«وإذا كتب صريح طلاق زوجته وقع وإن لم ينوه؛ لأن الكتابة صريحة في الطلاق، لأنها حروف يفهم منها صريح المعنىٰ وتقوم مقام قول الكاتب... فلو قال: لم أرد إلا تجويد خطي أو غم أهلي، قُبِلَ حكمًا لأنه أعلم بنيته وقد نوىٰ محتملًا غير الطلاق... وظاهر كلام الإمام أحمد أنه يقع لأن ذلك لا ينافي الوقوع، فيغم أهله بوقوع الطلاق» (الضويان:٥٧٦، ١٤٢١).

وفي «باب القضاء» قالوا: ويباح له أن يتخذ كاتبًا يكتب الوقائع، وقيل: يسن؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ استكتب زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. (الضويان: ٧٥٦، ١٤٢١). ومما يضاف إلىٰ ذلك أن كاتب العدل – أي: الذي يكتب الوقائع – ينبغي أن يكون خطه حسنًا حتىٰ لا يدلس في القضايا وحتىٰ يقرأها غيره ويفهمها، فلا تضيع حقوق الناس بسبب تصحيف أو سوء خط.

كما أن القاضي يكتب إلىٰ قاض آخر - وهو ما يعرف بالاستخلاف - في تتبع القضية المعنية، كما في قولهم:

«ويصح أن يكتب القاضي الذي ثبت عنده الحق إلىٰ قاض آخر معين بصورة الدعوىٰ الواقعة علىٰ الغائب، ويقول فيه: وإن ذلك قد ثبت عندي... إلخ».

◈ (٢) أثره في تقلد المناصب:

للخط والكتابة أثر كبير في تقلد المناصب في الدولة، لما لهما من أهمية في تسيير وتيسير إدارة الدولة وشؤونها وشؤون الناس، وكذلك ما يتعلق بالمراسلات والمكاتبات بين ولاة الأمر والدول والقضاة.

ونظرًا لقلة الكتاب في بادئ الأمر فقد كان للكتاب شأن كبير في تاريخ الدول بل إن الخطوط ذاتها سميت بأسماء الوظائف، فكل قلم يتعلق بوظيفة، مما يدل علىٰ علو شأن الخط.

وأول من يقدم هنا كتَّاب - بتشديد التاء - الوحي الذين مر ذكرهم، وهي أعلىٰ المراتب، حتىٰ قبل أن يظهر الديوان في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جعل لكل وظيفة ما يعرف بها وما يتقرر لها من رواتب، مما أدىٰ إلىٰ التوسع في الكتابة في الإدارة المالية. ثم ظهر طائفة من الخطاطين عبر الدول الإسلامية، انظر الشكل (٣).

❁ ❁ ❁

شكل (٣) الخطاطون الأوائل

ولعل أشهر من تقلد أعلىٰ المناصب بسبب الخط هو إمام الخط الوزير ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ) الذي تقلد الوزارة لثلاثة خلفاء في العهد العباسي هم المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي، والأخير وقع بينه وبين وزيره ابن رائق وحصل له ما حصل من قطع ليديه ثم لسانه ثم وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ والقصة مشهورة.

وفي المقابل هناك سلاطين امتازوا بتجويدهم للخط، بل لهم لوحات وقطع وأمشاق خاصة بهم، ذكرهم الخطاط محمد طاهر الكردي (١٩٣٩م) منهم: السلطان سليمان خان القانوني (ت ١٥٦٦م)، والسلطان مصطفىٰ خان الثاني (ت ١٧٠٤م) ومنهم السلطان أحمد خان الثالث (ت ١٧٣٦م)، والسلطان محمود خان الثاني (ت ١٨٣٩م)، والسلطان محمد خان الثالث (ت ١٩٠٣م)، ومنهم السلطان عبدالحميد الثاني (ت ١٩١٨م) رحمهم الله، انظر الشكل رقم (٤).

❁ ❁ ❁

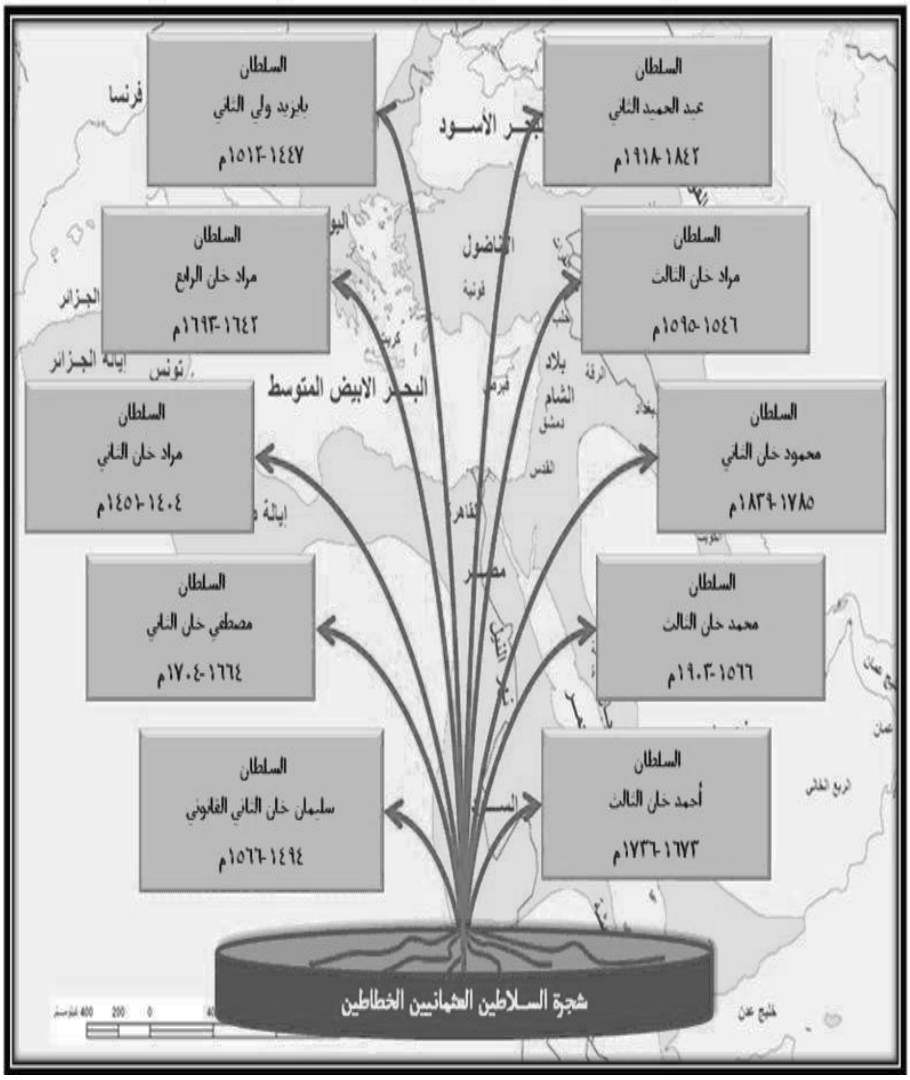

شكل (٤) شجرة السلاطين العثمانيين الخطاطين

مستوحاة ومبتكرة من الباحث. المصدر: محمد طاهر الكردي الخطاط.

«تاريخ الخط العربي» (١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩)

وقد أطلق علىٰ الخطوط أسماء بحسب الوظائف:

يطلق علىٰ الخطوط أسماء تميزها بحسب الوظائف، فيقال: الأمانات، الحوائجي، الأشعار، الحرم، المؤامرات، العهود، القصص، المكاتبات، النسخ، المصاحف، الديواني، التوقيع، الإجازة، التذكاري، رقعة الباب العالي ... إلخ. فالخط الكوفي، ثم بدايات كوفي النسخي في قول أن من نقله هو الحسن البصري، وأنه قد ظهر في الحجاز لتدوين الدواوين والمراسلات، لكن ذكر حبيب بيدافيتش (٢٠١٠م) أنه يشتبه في نسبة الخط إلىٰ الحسن البصري، إذ يحتمل أن يكون كاتبه هو «حسن الفصيح» أخو ابن مقلة.

وقد أسس ابن مقلة قواعد خط النسخ حتىٰ أصبح خطه مقدمًا في كتابة المصحف الشريف بهذه الجودة، وأطلق عليه «خادم القرآن»، كما اتصل بذلك وظائف ومهن تتصل بالخط والكتابة والورق، مثل «خط الدفتر» «وخط السجلات » و«البطائق» و«الحواشي» (عفيف البهنسي، ١٩٩٥: ١٤٩).

وذكر محمد هاشم الخطاط (٢٠٠٨م)، أن تسمية كاتب الخط تتغير مع مرور الوقت من لقب «كاتب الخط» إلىٰ «الكاتب»، ثم إلىٰ «الخطاط»، وأطلق مسمىٰ «المحرر» أيضًا، بل أطلق علىٰ كبار الخطاطين ألقاب مثل «الأستاذ» علىٰ ابن البواب، «وقبلة الكتَّاب» علىٰ ياقوت المستعصمي، ولقب «الشيخ » علىٰ حمدالله الأماسي إمام المدرسة العثمانية في الخط، وسمي أيضًا باسم «ياقوت الثاني»، أو «ياقوت الروم»، باعتبار أنه طور خطه وابتكر منهجًا خطيًّا بعد أن قلد خط ياقوت المستعصمي.

وقد أحصىٰ البعض أنواع الخط وأوصلها إلىٰ ما يقرب من ثلاثين نوعًا، وهي الطومار – الجليل – المجموع – الرياسي – الثلثين – النصف – الحوائجي –المسلسل – غبار الحلبة– المؤامرات – المحدث – المدمج – المحقق – الرقاع– الريحان – التواقيع – النسخ – المنثور – المقترن – الحواشي – الأشعار – اللؤلؤي – خفيف الثلث – قلم المصاحف – فضاح النسخ– الغبار – العهود – قلم الذهب.

ثم إن العثمانيين قد طوروا الخط الديواني، وإن الذي وضعه الخطاط إبراهيم منيف في عهد السلطان محمد الفاتح ويختص بالكتابات السلطانية، (البهنسي، ١٩٩٥م).

وبعضهم أوصل الأنواع إلىٰ أقل من ذلك، ونظم لذلك شعرًا بقوله: إن الخطوط أربعة عشر وتصل إلىٰ ستة عشر، (حبيب بيدافيتش، ٢٠٠٩: ٤٨):

الثلث والرقاع والمحقـــق والنسخ والتوقيع حيث يطلق
وبعده الوضاح والطومـــار ثم الفروع سبعة أشعـــار
غبارها ريحانها المنثـــور خفيف ثلث خطها المشهـور
ثم الحواشي تمت المسلسلة وكلها في هذه المحصلـــة

وكان «الخط الكوفي» هو الخط المستعمل في صدر الإسلام منذ القرن الـ(١٨هـ)، وإن جميع أو معظم المصاحف التي كتبت قبل القرن الرابع الهجري كتبت بالخط الكوفي وهو أنواع، منها مائل، مزهر، معقد، مورق، منحصر، معشق، مظفر، موشح، أوصله البعض إلىٰ ما يقرب من

٣٠ نوعًا، ثم إنه تطور بعد أن كان عفويًّا في البداية ثم تتابعت الخطوط فيما بعد (عفيف البهنسي،١٩٩٥: ١٣٠).

ويذكر الخطاط محمد الكردي (١٩٣٩م) أن الخط الكوفي قد ازدهر في العصر العباسي وبلغ منزلة رفيعة، حيث شهد تفننًا في رسمه وتجميله وشكله، وأدخلوا عليه كثيرًا من الزخارف، ومن أبرز خواصه أنه يتمشىٰ مع الكاتب في كل هندسة وزخرفة وشكل، مع بقاء حروفه علىٰ قاعدتها، لكنه مع الوقت قل الإقبال عليه بسبب ظهور الأقلام الجديدة من جهة، ولأنه لا يعطي مجالًا للخروج عن الشكل الهندسي. ولهذا اشتق منه عدد من الخطوط كالخط المحقق والتوقيع والثلث.

ويذكر إبراهيم جمعة (١٩٦٧م)، أن الكوفة أنشئت بالقرب من الحيرة عاصمة اللخميين، أنشأها سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن ذلك الحين بدأت الأنبار والحيرة تفقدان ما كان لهما من أهمية. وبعد تأسيس بغداد تناقصت قيمة الكوفة وتدهورت بتدهور الخلافة في القرن الرابع الهجري.

وأبرز المؤثرات التي محَّصت وجَوَّدت الخط الكوفي في الكوفة، كما ذكر، إبراهيم جمعة (١٩٦٧م) هي:

١ – أنها قامت بالقرب من الأنبار والحيرة، فكانت بحكم ذلك القرب الوارثة الطبيعية لهما، بما فيهما من تعليم للخط منذ العصر الجاهلي.

٢ – بروزها كمركز من مراكز العلم منذ القرن الهجري الأول يعتد بالمفاخرة بالعلم بدلًا من المفاخر الجاهلية.

٣ – تسمية الخط باسمها أكسبها بعدًا آخر في هذا الفن الذي حل محل

الخط النبطي والحيري والأنباري.

٤ - ازدهار الخط خارج الكوفة في بداية الأمر سببه انشغال العرب بالحروب ثم الفتوحات والحروب الداخلية.

وقد ظهر فيها ثلاثة خطوط: «الكوفي اليابس» (للكتابات الجليلة) ويسميه البعض «الكوفي التذكاري» الذي استخدم في التسجيل علىٰ المواد الصلبة كالأحجار والأخشاب، ثم الخط «الكوفي اللين» وهو خط التحرير وهو الكوفي السريع الذي تجري فيه اليد، ثم خط ثالث جمع بينهما هو «خط المصاحف» أو الكوفي المصحفي الذي جمع بين الجفاف والليونة، واستعمل لكتابة المصاحف الكبرىٰ في القرون الثلاثة الأولىٰ، انظر شكل(٥).

❋ ❋ ❋

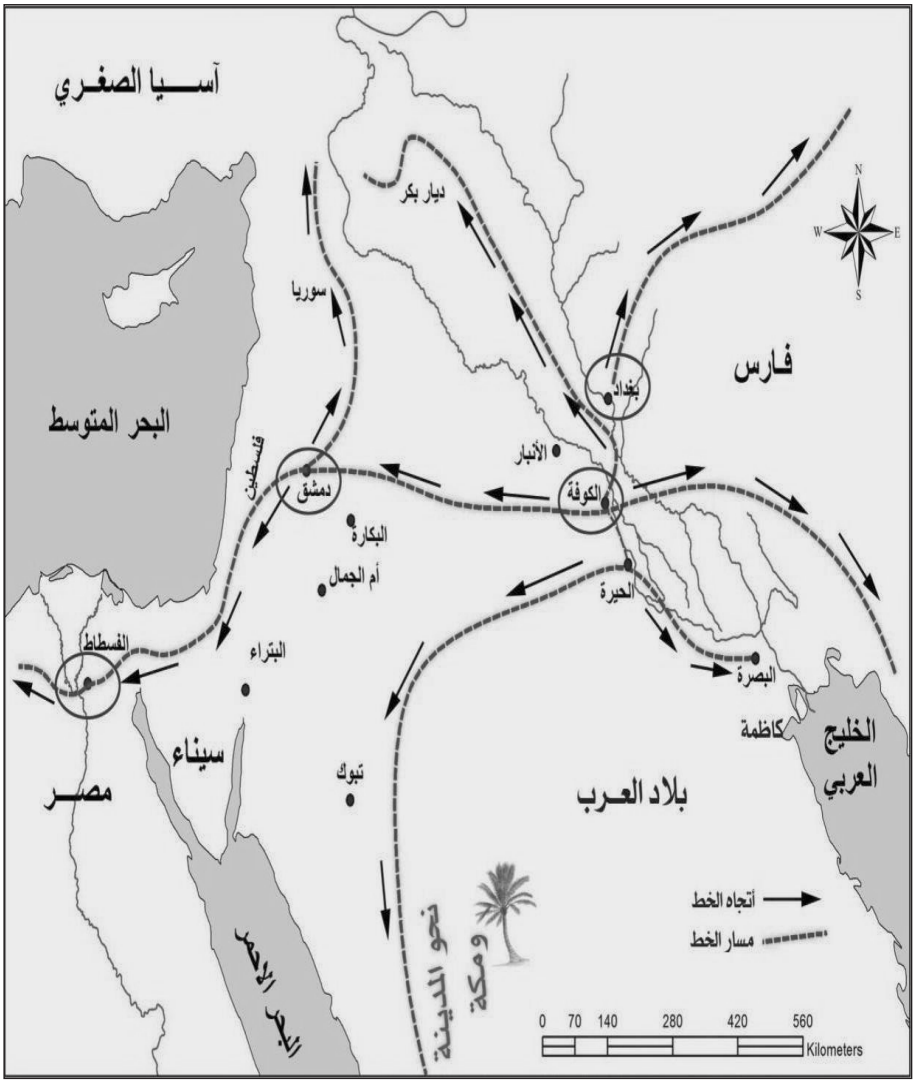

شكل (٥) مسار الخط الكوفي في العالم الإسلامي

المصدر: إبراهيم جمعة «دراسات للكتابات الكوفية» (١٩٦٧ص ٢٧) (مع التعديل).

علىٰ أن الخط الذي استعمله العرب قبل الإسلام هو المسند، وهو اللحياني والثمودي ثم الحميري، وقد انتشر في أطراف العراق والبادية والكويت والإحساء، وأول آثار الأبجدية العربية عثر عليها في سوريا في أم الجمال في القرن الثالث الميلادي، البهنسي (١٩٩٥م).

وقد رسم السعيد والمنيف (٢٠١١) Al said &Almuneef شكلًا لشجرة الخطوط وروافدها، انظر الشكل رقم (٦) وانظر الشكل رقم (٧) عن تطور الخط وأنواعه وفروعه.

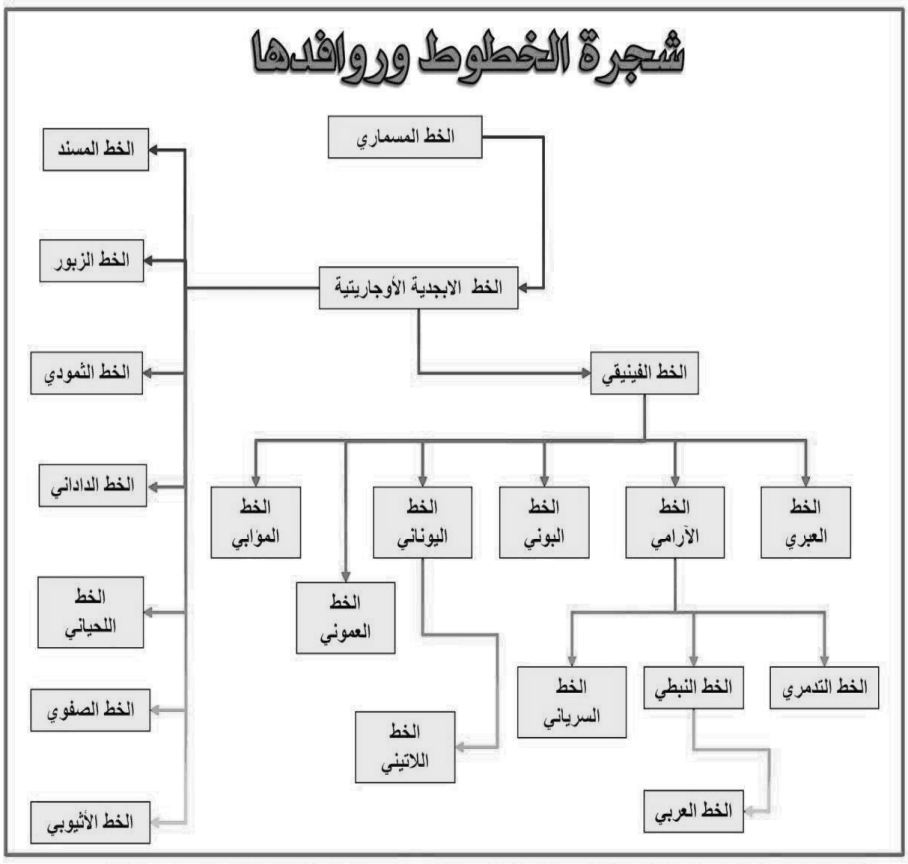

(المرجع مع التعديل) S.Al-Said A.Al_Muneef,2011"The Civilization of Writing" King Abdulla Aziz Libraty,P91

شكل (٦) شجرة الخطوط انتهاء بالخط العربي

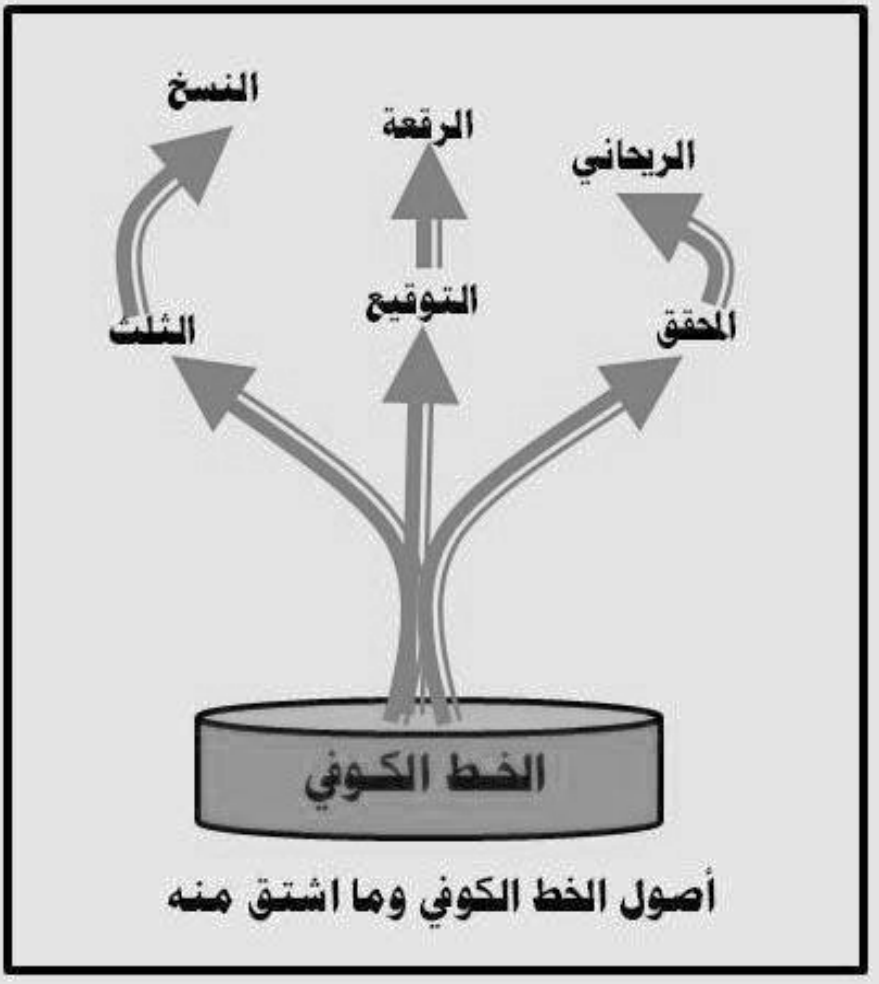

عن حبيب الندي ديداميش "الخط والخطاطون" (٢٠١٠)م

شكل (٧)

وقد ظهر الخطاطون ثم تبعتهم المدارس التي تشكل الأساس الحضاري الذي يستند عليه الخطاط وانصبغ بها، كالمدرسة البغدادية الأم، والمدرسة الشامية والمدرسة المصرية، والمدرسة العثمانية، التي قامت أساسًا علىٰ المدرسة البغدادية، وعلىٰ أسلوب ياقوت المستعصمي بالتحديد الذي قلده إمام المدرسة العثمانية حمدالله الأماسي وطوره بأمر الخليفة بايزيد؛ ليميز الأسلوب العثماني في رسم الحروف. ثم انتقلت المدارس إلىٰ مجال أضيق بحيث تنزل إلىٰ مستوىٰ الخطاط وأسلوبه، فنقول مثلًا، أسلوب ابن مقلة، وأسلوب ابن البواب، وأسلوب ياقوت المستعصمي، وأسلوب حمدالله، وأسلوب راسم وهكذا، (هاشم محمد الخطاط، ٢٠٠٨م) [١].

◈ (٣) أثره في الإبداع والابتكار:

أما أثره في الإبداع والابتكار: فإن الخط هو المجال الواسع والأكبر في الإبداع الفني، باعتبار أن الرسم - خاصة رسم ذوات الأرواح - أمر منهي عنه، فكان الخط استجابة فطرية للتعويض عن ذلك من خلال أمرين:

الأول منهما: أنه المجال الأرحب لكتابة القرآن الكريم والسنة النبوية وعموم العلم النافع، وهو من أسس الدين الإسلامي.

والثاني: مصاحبة الابتكار والإبداع لكل نَسْخٍ للمصحف، فأصبحت المصاحف تظهر في حلل قشيبة ومظهر أنيق في كل عصر.

أما صور الإبداع والابتكار فكثيرة، وسنشير إلىٰ أبرزها:

---

(١) هاشم محمد الخطاط البغدادي، «طبقات الخطاطين» حققه: إدهام محمد حنش، (٢٠٠٨)، دار الكتاب الثقافي: إربد - الأردن.

فمنها الابتكار في الحرف والخط، ومنها الزخرفة، ومنها التجليد. أما الحرف والخط فقد تطور مع الوقت، حيث أذنت الشريعة السمحاء في ذلك كالإعجام والشكل الذي علمه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا الأسود الدؤلي، الذي أمر أحدًا من بني عبدالقيس أن يأخذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد وقال له: «إذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن تبعت شيئًا من هذه الأشياء غنة فانقط نقطتين» (عبدالعزيز الدالي، ١٩٩٦م)، وقال الإمام النووي في «آداب حملة القرآن»:

«ويستحب نقط المصحف وشكله، فإنه صيانة من اللحن فيه والتصحيف، وأما كراهة الشعبي والنخعي النقط، فإنما كرهاه في ذلك الزمان خوفًا من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم» (ص١٥٩).

وبالطبع فإن النقط والشكل قد فتح الباب أمام المزوقين والمصحفيين وصنعة الورق عمومًا لأن تزدهر، حتىٰ إن صناعة المخطوط نفسه تمر بعدة مراحل قبل الكتابة، وذلك قبل ظهور الورق حين كانت الكتابة علىٰ الجلود، فمنها الاختيار، والمرط وهو نزع الشعر، ثم التعريق وهي كشط الجهة السفلىٰ من الجلود، ومنها الطي والقطع والتخزيم، والتسطير والتجليد، والزخرفة (مصطفىٰ الطوبي، ٢٠١٤م)[1].

(١) مصطفىٰ الطوبي «المخطوط العربي بين الصناعة المادية وعلم المخطوطات»، في علم المخطوط العربي، معهد المخطوطات العربية، إصدار خاص «مجلة الوعي الإسلامي »رقم (٧٩)، (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، (ص ١١ - ٥٨)، انظر (ص ٢٦-٣٢).

أما المراحل التي مر بها الخط العربي - علىٰ رأي الأستاذ حسن جلبي[١] تلميذ الإمام الأستاذ حامد الآمدي (ت ١٩٨٢م) فإنها بحسب قوله ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولىٰ:

وهي من حين ما ابتدأ نزول الوحي علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بالقرآن الكريم، وأَمْرُهُ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بكتابته علىٰ الجلود والعظام ونحوها. ومنذ هذه الفترة إلىٰ عهد العباسيين فقد تطور الخط الكوفي، ومع ذلك فقد شهدت هذه الفترة، خاصة في آخر عهد الأمويين وبداية عهد العباسيين، محاولة البحث عن بديل للخط الكوفي، وذلك عندما رأينا اشتهار الخطاط علي بن هلال الشهير بابن البواب في كشف وتأسيس الخط الريحاني والقلم المحقق.

المرحلة الثانية:

تبدأ بما أبدع به الخطاط ابن البواب في المحقق والريحاني. واستفادة

(١) حسن جلبي، أحد أبرز أساتذة الخط في تركيا والعالم الإسلامي اليوم، إن لم يكن أبرزهم، ومن أبرز تلامذة الأستاذ الإمام حامد الآمدي، ولد عام ١٩٣٨م، تدرج في الوظائف الدينية، خاصة الأذان والإمامة منذ عام ١٩٥٦م. واستمر في ذلك إلىٰ أن تقاعد عن الإمامة عام ١٩٧٨، وتفرغ للعمل في مجال الخط بعد أن حصل علىٰ الإجازة من الأستاذ العبقري حامد الآمدي منذ عام ١٩٧٥م. له تلاميذ كثيرون من تركيا ومن أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي. وأما أشهر تلاميذه فهو الأستاذ داود بكداش، ومخلص أوصاد، وبرأت كولن، ولايزال الشيخ حسن جلبي يعلم الخط بأسلوب تعليمي رصين، مع عناية وتلطف مع الطلبة، وقد تيسر لي لقاؤه أكثر من مرة وانتفعت بتوجيهاته ونصائحة في الخط، وذلك في مدينة أسكدار حيث يسكن، وفي الكويت إذا زارها.

ياقوت المستعصم منه. وفي هذه الفترة شهدت التجارب القلم المحقق والريحاني وابتداء الثلث. وهو الذي وقف عند ياقوت، وهو الذي اعتنىٰ به وقام بتطويره حتىٰ بلغ غايته.

كما ظهر في هذه الفترة كيفية قطع القلم وبحثه عن إمكانات تطويره وتأهيله للخطوط، حتىٰ انتهىٰ من تصميم وهيكلة الحروف، واستمر هذا الفكر إلىٰ بداية العهد العثماني، وهو نهاية الفترة الثانية.

المرحلة الثالثة:

تبدأ من حيث انتهىٰ ياقوت إلىٰ تصفية الحروف ووضع القواعد لها مع الأساليب الجديدة في فنون الخط، وهي التي كانت في عهد الخطاط الشيخ حمدالله في بداية القرن التاسع الهجري، وقد ابتدأت المرحلة الثالثة بالشيخ حمدالله الذي عاش إلىٰ عام (١٥٣٠م). وهو الذي لقب بإمام الخطاطين وعرف بابن الشيخ.

وفي عصر السلطان بايزيد ابتدأ حكمه باستدعاء حمدالله إلىٰ مقر الحكم في الدولة العثمانية في إسطنبول. وطلب منه أن يضع كل ما اخترعه ووصل إليه الخط العربي، فاعتكف الخطاط حمدالله (٤٠ يومًا)، خرج بعدها بعدما استخار الله واستعان به، فتوصل إلىٰ قواعد الخط العربي والأشكال والفنون لأنواع الخطوط وأساسات هذه الخطوط، لهذا فقد وضع الأساس العلمي والفني والذوقي لهذا العلم.

❁ ❁ ❁

ثانيا: نسخ المصحف وأنواع الخط في المصاحف

يشير إدهام حنش (٢٠١٠م)[١] في بحثه القيم «خطوط المصاحف إشكاليات التعريف وحدود التصنيف» حول خطوط المصاحف وأنواعها بعد أن ناقش المصطلحات والإشكالات في ذلك، وانتهىٰ إلىٰ أن خط المصحف يعني أحد معنيين:

أ - صفة تصنيفية لبعض أنواع الخط تصدق علىٰ خط المصحف.

ب - اسم لنوع خاص يطلق عليه خط المصحف.

ويستطرد إدهام حنش (٢٠١٠م) في ذكر أنواع خط المصحف:

❁ أبرزها الجزم، وهو خط المصحف الإمام:

وصف أنه كتب بالخط الكوفي الأول، وأنه خط جليل مبسوط خطه حسن بيِّنٌ قوي وحبره محكم في رق. وأنه سمي بالجزم لأنه اقتطع من الخط المسند الحميري (انظر شكل ٦). والجزم هو الكوفي، وصفاته: البسط واليبوسة والتربيع أكثر من التقوير، والليونة، والتدوير. (انظر ملحق الخطوط). والخط الكوفي خط عربي نشأ في بداية ظهور الإسلام في مدينة الكوفة التي أنشأها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

---

(١) إدهام حنش، «خطوط المصاحف: إشكاليات التعريف وحدود التصنيف»، في علم المخطوط العربي، معهد المخطوطات العربية، إصدار خاص مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية رقم (٩٧)، مصدر سابق، (ص٤١٧-٤٧٥).

ثم إن الخط الأول للمصحف تفرع منه ثلاثة أو أربعة خطوط وهي علىٰ منواله، مثل:

أ- الخط المدني والمكي، وذلك التنوع بحسب الموقع الجغرافي.

ب- خط الجليل، يقوم علىٰ فخامة الحرف والشكل والهيئة، بل إن ذلك أصبح أسلوبًا يسمىٰ تجليل الخط، والمعنىٰ المجرد للتجليل مأخوذ من الجلالة التي هي القدر والسمو ونحو ذلك.

ج- الطومار، وهو نوع من أنواع الجليل من حيث الضخامة والفخامة ويشتبه به أحيانًا.

أما عند محمد طاهر الكردي (١٩٣٩م) ومحمود الجبوري (٢٠١٣م) فإن خطوط المصحف أربعة:

الأول: الجليل، وهو الخط الذي ظهر في الشام في عهد الخلافة الأموية وانتقل إلىٰ العراق في عهد الخلافة العباسية، وهو خط كبير الحجم، ربما وصل إلىٰ عرض الأصبع، وأشهر من كتب به يوسف الكاتب الملقب باسم لقوة الشاعر، وخشنام البصري، وانتهىٰ الأخذ به أواخر القرن الثاني.

الثاني: المشق، وهو مد الخط ويستخدم كوسيلة من وسائل ضبط نهايات السطور أو لتحسين الكلمات وتجميلها وتجزئتها، واستعمل خلال القرن الثالث، لكن بعض من أهل هذا الفن يشير إلىٰ أن المشق هو الخط المعتاد الذي يكتبه المتعجل دون كثير عناية ولقضاء الحوائج، اشتقاقًا من اسمه، إذ أن المشق في اللغة تعني: السرعة، ولا شك أن السرعة تنافي الإتقان، لهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شر الكتابة المشق».

الثالث: الكوفي، وقد تطور في الكوفة كما تقدم ذكره، وهو أول الخطوط التي تطورت بعد الخط الحجازي، وقد تصدر جميع الخطوط إلىٰ عصر ابن مقلة الذي طور الخط وأخرجه عن القالب الكوفي، واستمر إلىٰ القرن الرابع، وكثرت المصاحف التي كتبت به.

الرابع: المحقق، وهو من صناعة العصر العباسي في العراق، من الخطوط التي تنسب إلىٰ إمام الخط ابن مقلة، يقرب من الثلث، غير أن ألفاته طويلة وفيه شيء من اليبوسة كذلك، كما أن بعض حروفه تختلف، مثل الواو والنون والراء. وهو خلاصة الخطوط، فلذلك كتبت به المصاحف في القرون الثلاثة.

ويستعرض الجبوري[1] (٢٠١٣م) تدرج خط المصاحف منذ مراحله الأولىٰ الزمنية في زمن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بأن القرآن الكريم كان محفوظًا في الصدور، ثم إنه كتب مفرقًا في الرقاع والأكتاف والعسب واللخاف، وقدر الله أن يقوم بجمعه أحد الصحابة رضوان الله عليهم، خاصة بعد حروب الردة التي استشهد فيها عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم.

وقد شهد الخط المصحفي تطورًا عبر العصور الإسلامية، بدءًا من العصر الراشدي، ثم العصر الأموي، ثم العصر العباسي، ثم مصاحف القرن الثالث الهجري، ثم عصور الإسلام اللاحقة.

---

(١) محمود عباد الجبوري«خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتىٰ عصر ابن البواب» ٢٠١٣، الدار العربية للموسوعات: بيروت انظر: الفصل الثاني والثالث والرابع.

◈ مراحل كتابة خط المصحف:

أما بالنسبة لخط المصحف في مراحله الأولىٰ، فكان حين أمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمشورة من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين أخبره أن القتل قد اشتد بقراء القرآن فيخشىٰ، أن يذهب كثير منه، وأن يأمر بجمع القرآن الكريم من صدور الرجال ومن الرقاع واللخاف والأكتاف ونحوها، وكُلف بذلك الصحابي الجليل زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاجتهد بذلك وشرع بجمع الآيات، وكان يتحرىٰ الدقة فلا يوثق آية إلا بشاهدين، وذلك اعتمادًا علىٰ ما أحكمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قرأ القرآن علىٰ جبريل مرتين قبل أن يقبض، وكان يقابل القرآن مرة واحدة معه في العام الواحد.

وقد واصل الخلفاء الراشدون العناية بالمصحف وأرسلوا من يفقه الناس في علوم القرآن إلىٰ الشام وإلىٰ غيرها من بلاد المسلمين؛ منهم أبيّ بن كعب وأبوالدرداء، وعبادة بن الصامت ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلك قبل (سنة ٣٤ هجرية).

وعندما بويع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة في (سنة ٢٣ هجرية)، توسعت في عهده الدولة الإسلامية وانتشر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأخذوا ينشرون القرآن ويعلمونه للناس، غير أنه لوحظ أن هناك بعض الاختلاف في القراءات، وذلك بحسب ما تلقاه الصحابة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القراءات القرآنية، ولوحظ أن أهل الكوفة يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأهل البصرة يقرأون بقرأءة أبي موسي الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذلك الحال في بلاد الشام، فوصل الخبر إلىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخبروه بخطورة الوضع، فشرع بجمع القرآن علىٰ قراءة واحدة تجتمع عليها قلوب المسلمين، وذلك بناء علىٰ تحذير الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من أن يقع بين المسلمين اختلاف في القراءات، كما اختلف اليهود والنصارىٰ، فأرسل عثمان إلىٰ أم المؤمنين حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بأن ترسل إليه المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت، وأمر عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث المخزومي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، بأن يكتبوا القرآن بلسان قريش، وذلك لأنه نزل بلسانهم، وهم أفصح العرب. وكان الجميع يأخذ برأي أبي بن كعب، وزيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في ضبط الرسم القرآني، حتىٰ تم ذلك في سنة خمس وعشرين من الهجرة، وأمر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بحرق باقي المصاحف لتوحيد المسلمين علىٰ مصحف واحد، وهو بحمد الله وتوفيقه الذي بين أيدينا الآن يُتلىٰ ويرتل، وأطلق عليه: «المصحف الإمام».

لهذا يمكن التفريق بين جمع المصحف في عهد أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا من جهة، وجمع عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من جهة أخرىٰ؛ من ناحية أن الجمع الأول كان مخافةً من أن يضيع القرآن بعد أن استحرَّ الموت بالقراء، أما الجمع الثاني فكان لتوحيد المسلمين علىٰ مصحف واحد.

ومما يذكر أن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان قد طلب «الرَّبعة» التي كانت في بيت عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند حفصة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حين استهل بالجمع، والربعة تعني الكتب المجمَّعة، وسميت بذلك لأنها حفظت في صندوق مربع كالجونة.

بعد ذلك اطمأن المسلمون واجتمعوا علىٰ مصحف واحد، فانتقلت الكتابة إلىٰ مرحلة تجويد الخط والعناية به، بعد أن ثبتت أركانه من خلال الاجتماع علىٰ مصحف واحد. وفي العصر الأموي عندما انتقلت الخلافة

إلىٰ الشام في عهد معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدأت تظهر العناية بتجويد الخط المصحفي، وبدأ يظهر الوراقون والخطاطون شيئًا فشيئًا، منهم خالد بن الهياج، وقطبة المحرر، والضحاك بن عجلان، وإبراهيم الشجري، ومالك بن دينار، وكلهم في الفترة التي امتدت إلىٰ ماقبل (٢٠٠ هجرية) بقليل، حيث عاصرت العهد الأموي والعهد العباسي قبل ظهور الأساتذة الأئمة في الخط كما سيأتي.

ويشير عبدالستار الحلوجي (١٩٦٧م)[1]، بأن الخط في العصر الجاهلي، كان غير مجود، وكان مضطرب الشكل وغير منسق، وأن هناك جملة من العوامل رئيسة أدت إلىٰ سرعة تحسين الخط وتجويده، وهي:

أولًا: أثر النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين استدعىٰ عددًا من الصحابة ممن عرف بالكتابة ووضوح الخط، فبرز منهم كتّاب الوحي، وكانوا أيضًا يكتبون الرسائل التي يبعثها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الملوك ونحوهم حين دعاهم إلىٰ الإسلام وغير ذلك من الحاجات، ولم تتوسع الكتابة كثيرًا في هذه الفترة، وذلك حرصًا علىٰ ألا يختلط ذلك بالقرآن الكريم.

ثانيًا: جمع القرآن الكريم، من أهم الأمور التي حتمت الاستمرار في تحسين الخط وتجويده، وذلك بعد أن استحرَّ، القتل بالقراء في الحروب، خاصة يوم اليمامة، حينها استدعىٰ أبوبكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصحابي الجليل زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجمع القرآن الكريم بين دفتين، وتم حفظه

---

(١) عبدالستار الحلوجي، «الكتاب العربي المخطوط في نشأته وتطوره في آخر القرن الرابع الهجري»، في علم المخطوط العربي بحوث ودراسات، نشر مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، إصدار رقم (٧٩)، سنه (١٤٣٥/ ٢٠١٤)، (ص ٦٣- ١٩٠)، نشر أصلًا عام (١٩٦٧)، منشورات معهد المخطوطات العربية.

بتوفيق من الله تعالىٰ في عهد عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثالثًا: نقط المصاحف، وكان سببه ظهور اللحن في الكلام، فحتم العناية باللغة العربية والإعراب، وبالتالي ظهور ما يسمي «بنقط المصحف» للتعرف علىٰ الحركات والسكون والتشديد والتخفيف عند القراءة، ولما اجتمع نقط الإعجام مع نقط الإعراب أدىٰ ذلك إلىٰ ظهور ما يسمىٰ بالحركات الإعرابية بدلًا من النقط.

رابعًا: ظهور حركة التأليف والترجمة والكتابة فيما بعد، نتج عنها كثرة الكتابة واستخدام القلم، مما يعني تحسين الخط وتجويده. كذلك ظهور الكتب، وكانت في بادئ الأمر صغيرة الحجم عبارة عن رسائل صغيرة مركزة علىٰ بعض المسائل، ومع مرور الوقت بدأت تظهر الكتب ذات الأحجام المتنوعة، خاصة بعد القرن الأول وأوائل القرن الهجري الثاني.

خامسًا: ظهور المكتبات، وهي مرحلة لاحقة بطبيعة الحال، لكنها ساهمت أيضًا في العناية بالخط وتجويده وتنويع الكتب بأحجام مختلفة حسب نوع العلم. ولقد استعرض خير الله سعيد (٢٠١١) المكتبات التي شهدتها دول الخلافة الإسلامية، منها مثلًا في عهد الخلافة الأموية خزانة الجامع الأموي، خزانة مكتبة جامع حلب، خزانة كتب الشرفية بدمشق، ومكتبات الأندلس، منها مكتبة الخليفة عبدالرحمن الأوسط، ومكتبة الخليفة عبدالرحمن الناصر، ومكتبة ابن رشد، ومكتبات مصر كمكتبة دار الحكمة، والجامع الأزهر، وفي الحقيقة يصعب حصر هذه المكتبات، وما ذُكِرَ كان علىٰ سبيل الإشارة.

سادسًا: صناعة المخطوط، خاصة مع تصنيع الورق في الربع الأخير

من القرن الثاني، تشمل النسخ والتصحيح والتجليد، وهي أشبه بدور النشر اليوم، وقد اتخذت لذلك حوانيت ودكاكين للنسخ والتجليد حتىٰ صارت الوراقة أصلًا لصناعة المخطوط العربي وأصلًا لكثير من أمهات الكتب.

سابعًا: ظهور المزوقين، الذين أضفوا علىٰ الكتب جمالًا ورونقًا جاذبًا للقراءة حين أدخلوا بعض الزخارف التي تميز الأبواب والفصول في الكتب بحسب نوع الفن.

❁ ثانيًا: خط ابن مقلة:

الذي سلك مسلكًا جديدًا، عرف بأسلوب ابن مقلة، كالترطيب والليونة، أو الجمع بين التدوير والتربيع بطريقة مبتكرة اجتهادية إبداعية، واعتبار الدائرة هي أصل الحرف، وهو أستاذ المدرسة البغدادية بلا منازع، بل أستاذ الأساتذة، ومن جاء بعده استفاد من خطه. وقد استوزر ثلاث مرات لخلفاء بني العباس، المقتدر بالله، والقاهر بالله، والراضي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، مما يدل علىٰ جلده وقوته. كان فصيحًا بليغًا، وهو الذي ضبط قواعد الخط وتناسب الحروف وابتداع الأصول، وكانت نهايته محزنة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بعد أن وُشِيَ به، فقطعت يده وحبس، (انظر الملاحق: نماذج من خطه).

وقد ضرب بخطه المثل، وجعل من سمات الكمال، فقالوا في المديح:

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وعفة مريم

❁ ثالثا: خط ابن البواب:

كتب الخط علىٰ أستاذه محمد بن أسد، ومحمد السمسماني أشهر تلاميذ ابن مقلة، ثم إنه جمع خطوط ابن مقلة وهذب طريقته وحسن صورة

الخط ونقحها مرات كثيرة، حتىٰ بلغ بالخط مرحلة الإبداع والجودة، لهذا أطلق عليه اسم «الناقل»، وهو أستاذ المتقدمين والمتأخرين. لقب ابن البواب، لأن والده كان بوابًا في عهد البويهيين، وكان فقيهًا حافظًا للقرآن، استحدث الخط الريحاني، والمحقق، وكتب المصحف (٦٤) مرة. له قصيدة رائية مشهورة، سارت بها الركبان، يتداولها محبو الخط، وهي في كيفية كتابة الخط والقلم، وقصائد أخرىٰ يذكر فيها قدراته في الخط، بيدابيش (٢٠١٠م)، والبهنسي (١٩٩٢م). أما مطلع قصيدته المشهورة فهو:

يا من يريد إجادة التحرير ... ويروم حسن الخط والتحرير
إن كان عزمك في الكتابة صادقًا ... فارغب إلىٰ مولاك في التيسير
أعدد من الأقلام كل مثقف ... صلب يصوغ صناعة التحبير
وإذا عمدت لبريه فتوخه ... عند القياس بأوسط التقدير

ويقول في بيت مشجعًا ومحفزًا للخطاطين:

لا تخجلن من الرديء تخطه ... في أول التمثيل والتسطير
فالأمر يصعب ثم يرجع هينًا ... ولرب سهل جاء بعد عسير

❁ رابعًا: خط ياقوت المستعصمي:

وهو من أعمدة الخط العربي، لقب ياقوت بجمال الدين، بسبب اجتهاده في الخط، ونسب إلىٰ الخليفة العباسي المستعصم بالله، حذا حذو ابن البواب حتىٰ بلغ درجة عالية من جمال الخط ورونقه، تمشق علىٰ عبدالمؤمن الأصبهاني، وزينب الشهدة وولي العجمي. كان في

البداية قد كتب بقلم الجزم، ثم حرف قلم القط، واخترع خطًّا جديدًا ومنح لقب الخطاط وهو ما لم يعط ابن البواب نفسه، وهذا دليل علىٰ مهارته وعبقريته في الخط، ومما يقال: إنه خلف ألف مصحف بخطه. كان الشيخ عبدالقادر الجيلاني الحنبلي يبجله ويقول عنه: «إن في يده سرًّا من أسرار الله...» والله أعلم.

وهناك مقولة يتداولها أهل الخط: مفادها أن أول من نقل الخط الكوفي إلىٰ الطريقة العراقية ابن مقلة، ثم جاء ابن البواب وزاد في تعريب الخط وإبداعه، ثم جاء ياقوت وختم الخط وأكمله وأدرج فيه قوانينه، توفي في بغداد وهو في الثمانين رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بيدابيش (٢٠١٠م).

وهو في الحقيقة خاتمة المدرسة البغدادية قبل انتقال الخط إلىٰ الدولة العثمانية علىٰ يد حمدالله الأماسي، الذي قلد «ياقوت» ونقل خطه ثم طور أسلوبه الخاص حتىٰ لقب بياقوت الروم!.

خطاطو المصحف بالتسلسل (انظر لوحة طبقات الخطاطين):

ذكر ابن أبي داود في كتاب «المصاحف»، باب من كتب الوحي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي سعيد مولىٰ أبي أسيد قال: «لما دخل المصريون علىٰ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ضربوه بالسيف علىٰ يده فوقعت علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] فمد يده، وقال: والله إنها لأول يد خطت المفصل».

وفي «مسند أحمد» في فضل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخط يكتب والوحي ينزل: قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فوالله لقد كان قاعدًا عند نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمسند ظهره إليَّ، وإن

جبريل ليوحي إليه القرآن، وإنه ليقول له: «**اكتب ياعثيم**»، فما كان الله لينزله تلك المنزلة إلا كريمًا علىٰ الله ورسوله. (٢٦٦٦٦ / المسند).

ونقل الكتاني في كتاب «التراتيب الإدارية» (٢٠١١م) أن عددهم اثنان وأربعون عن الحافظ العراقي، وزاد هو عليهم وذكر أنهم ثلاثة وأربعين، وقد أشرنا إليهم سابقًا، فقال نظمًا:

كُتَّابه اثنـــــان وأربعونا زيد بن ثابت وكـان حينـا
كاتبه وبعـده معاويـــــهْ ابن أبي سفيان كـان واعيهْ
كذا أبوبكـــــر كـذا علـي عمر عثمـان كـذا أبـيّ
وابن سعيد خالـــد وحنظلـة كذا شرحبيـل أمـه حسنة
وعامر وثابـت بن قيس كـــذا ابن أرقـــم بغير لـبس
طلحة والزبير وابن الحضرمي وابن رواحة وجهما فاضمـم
وابن الوليـــد خالدًا وحاطبـا هو ابن عمرو وكذا حويطبا
حذيفة بريـــدة أبانـــا ابن سعيد وأبا سفيانـــا
كذا ابنه يزيد بعض مسلمـــة الفتح مع محمد بن مسلمة
عمرو هو ابن العاص مع مغيرة كذا السجل مع أبي سلمـة
كذا أبو أيوب الأنصـــاري كذا معيقيب هو الدوســـي
وابن أبي الأرقم أرقـــم اعدد فيهم كذا ابن سلول المهتدي
كذا ابن زيد اسمـــه عبدالله والجد عبد ربه بلا اشتبـاه
واعدد جهيمـًا والعلا ابن عتبة كذا حصين ابن نمير أثبـت

وذكروا ثلاثة قد كتبوا وارتد كل منهم وانقلبوا
ابن أبي سرح مع ابن خطل وآخر أبهم لم يسم لي
ولم يعد منهم إلىٰ الدين سوىٰ ابن أبي سرح وباقيهم غوىٰ

وذكر أن أكثرهم مداومة علىٰ ذلك بعد الهجرة زيد بن ثابت ثم معاوية بعد الفتح، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وهؤلاء الصحابة كان منهم كاتب السر، ومنهم كتاب الرسائل والإقطاع، ومنهم من كان يكتب للبوادي، ومنهم كتاب العهود والصلح، ومنهم من يكتب أموره الخاصة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذكره الكتاني (٢٠١١م).

ويستعرض إبراهيم جمعة (١٩٦٧م)[1] بجدارة وبدقة خطوط المصحف، بالقول إن كتابة المصحف كانت بالخط القديم المكي والمدني، ثم خط الكوفة والبصرة، ثم تبع ذلك بقية الأقلام التي اخترعت بقصد التحسين والتجويد. وأن مصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان بالخط المكي، ومصحف ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخط الكوفي.

ثم إن الخط المصحفي تطور إلىٰ الخط المكي المائل وأنه ظهر بعد الخط المكي في القرن الثاني الهجري، وأن من سماته أنه كان خاليًا من النقط وحركات الإعراب.

أما خط المشق المصحفي فمن صفاته المط والمد، فكان يكتب بسرعة، وأن الخليفة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يكرهه، وأنه كان موجودًا في فترة الخط المكي والمدني.

---

(١) إبراهيم جمعة، «دراسة في تطور الكتابات الكوفية»، (١٩٦٧)، دار الفكر العربي: القاهرة، انظر (ص ٦٢-٧٤).

ظهر بعد ذلك خط المحقق، وأنه ينتمي إلىٰ الأسرة الكوفية في الخط.

ثم تلا ذلك كثرة استخدام الخط المحقق، إلىٰ أن جاء ابن مقلة الذي حرر المحقق من السياق الكوفي، ثم ابن البواب الذي ضبط قواعد ابن مقلة، وانتهىٰ إلىٰ اختراع الخط المحقق الجديد. ثم ظهرت أسماء أخرىٰ جودت الخط مثل أحمد الإسكافي، وخشنام البصري الذي كتب المصاحف في عصر الرشيد، وسبقه خالد بن أبي الهياج، ومالك بن دينار الفارسي، وقطبة المحرر، الذي كان من كتاب العهد الأموي.

❁ ❁ ❁

ثالثًا: التوزيع الجغرافي لنساخ وخطاط المصحف

عرف العرب الخط مبكرًا، لكن كان ذلك مختصًّا ببعض الأفراد ولم يكن ذلك شائعًا. وقد وجد من الشعر ما يؤكد معرفة الخط، منه قول حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرق القشيب

أي: كخط القلم علىٰ الرق، ولبيد العامري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

فمدافع الريان عرَّىٰ رسمها خلقًا كما ضمن الوحي سِلامُها

وقوله أيضًا:

وجلا السيول علىٰ الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

والمعنىٰ: أن الماء الذي سال كشف أشياء وأخفىٰ أشياء، مثل الذي يمسك القلم وبين يديه مخطوط يحبر بعض الكلمات ويترك بعضها فيبرز بعضها.

وقد اختصت بعض القبائل بالكتابة، أبرزها قريش وثقيف وهذيل، وذكر ابن أبي داود في كتابه «المصاحف»[1]: قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تُمْلِي هُذيلٌ، وتكتبُ ثَقِيفٌ»، قال بعضهم: إنه قالها في حديثه حين أراد أن يكتب

(١) أبو بكر عبدالله بن سليمان ابن الأشعث السجستاني (ابن أبي داود) «كتاب المصاحف»، تحقيق: سليم الهلالي، (٢٠٠٦م)، مؤسسة غراس: الكويت، انظر (ص: ٥٠، ٢١٥، ٢٤٥).

المصحف.

ونقل الدالي (١٩٩٦م) أن لكل خليفة كُتَّابه - بتشديد التاء - الذين يثق فيهم، وقدر للكتابة العربية أن تنتشر أوسع انتشار بمصاحبة الفتوحات الإسلامية، فكان أول خروجها من شبه الجزيرة في خلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مع الفتوحات الأولىٰ، ثم أول كتابتها بأصولها الأولىٰ في تدوين المصحف في خلافة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ثم مرحلة الابتكار في الخط في خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الكوفة، ثم مرحلة اختراع قلم الخط في خلافة بني أمية.

والمتتبع للمصحف الإمام الذي كتبه عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يجد أنه أرسل إلىٰ سبعة أماكن، روىٰ ابن أبي داود في كتاب المصاحف قال: سمعت أبا حاتم السجستاني قال: «لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف؛ فبعث واحدًا إلىٰ مكة، وآخر إلىٰ الشام، وآخر إلىٰ اليمن، وآخر إلىٰ البحرين، وآخر إلىٰ البصرة، وآخر إلىٰ الكوفة، وحبس بالمدينة واحدًا»، كان ذلك في المدينة المنورة، وهي أول موطن خط فيه القرآن.

وقد كتب زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ المصاحف الأربعة التي أرسل عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثلاثة منها للبصرة والكوفة والشام وأبقىٰ عنده واحدًا كما تقدم ذكره.

ولا شك أن تتبع مسيرة نسخ المصحف تتطلب عمل خريطة جامعة لذلك، بدءًا من المدينة المنورة إلىٰ أماكن نسخ المصحف بقدر ما تسمح به الدراسة.

وقد استقر رسم المصحف عندما عارض جبريل عليه السلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين، وكان يعارضه مرة في العام، فكان هذا العرض هو ما استقر عليه المصحف، ثم إنه جمع في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما أشار عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ثم كان العمل علىٰ جمعه بواسطة زيد بن ثابت الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم إن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمعهم علىٰ مصحف واحد وهو المصحف الإمام علىٰ لغة قريش أفصح العرب كما تقدم ذكره.

وقد نُسخ المصحف منجمًا في (٢٢ عامًا و٦ شهور و٢٢يومًا)، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستدعي مِنْ كُتَّاب الوحي مَنْ يكتب له بالخط المكي أو الخط الحيري، وكانت الكتابة علىٰ الجلود والرقوق واللخاف والأوراق الأولية.

وبعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبإلحاح من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جمعت وحفظت عند أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انتقلت إلىٰ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما مات حُفظت عند حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جمعها ثم نسخها في أربعة أو سبعة مصاحف وُزِّعت علىٰ الأمصار: مكة والشام واليمن والبحرين والبصرة والكوفة والمدينة (البهنسي، ١٩٩٥م).

وترىٰ الدراسة بأن خط المصحف قد اتخذ في تجويده وتحسينه اتجاها شماليًّا من مكة المكرمة حيث نزل منجمًا، ثم من المدينة المنورة حيث نُسخ لينتشر في العراق ثم الشام، وغربًا في مصر وبلاد المغرب ثم تركيا ثم فارس والهند، انظر الشكلين رقم (٨)، (٩). ولقد استعرض الخطاط

محمد طاهر الكردي (١٩٣٩م) والخطاط محمد هاشم (٢٠٠٨م) سلاسل الخطاطين في مختلف العصور.

شكل رقم (٨)

ولقد تسلم الأتراك زمام الخط في هذه الأيام بعد أن ضعف الخط العربي في بغداد عند وفاة ياقوت المستعصمي آخر عمالقة الخط في بغداد (ت ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) بعد ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) وابن البواب (٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) وتلاميذهما.

وبرز في العصر العثماني خطاطون عباقرة يصعب حصرهم كحمد الله الأماسي وهو أول الخطاطين العثمانيين، وقد نقل خط ياقوت وطور وابتكر فيه، وهو الذي نقله إلىٰ المدرسة العثمانية، ويعرف بابن الشيخ... اشتغل في عهد السلطان بايزيد الثاني وكتب سبعة وأربعين مصحفًا (ت ٩٢٦هـ/ ١٤٢٩م)، وأحمد قرة حصاري (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م)، وخير الله المرعشي (ت ٨٧٦هـ/ ١٤١٧م)، ومحمد دده، والحافظ عثمان وراقم وغيرهم، وربما زاد عددهم عن خمسين (انظر لوحة طبقات الخطاطين المرفقة).

ثم إن الخط انتشر بانتشار الإسلام واللغة العربية كما سيأتي، فأدىٰ ذلك إلىٰ ظهور ثلاث أو أربع أقاليم جغرافية من حيث الخط واللغة علىٰ النحو التالي:

أولًا: الدول التي يتكلم أهلها اللغة العربية ويكتبون بالحرف العربي.

ثانيًا: الدول التي يستخدم أهلها الحرف العربي في الكتابة.

ثالثًا: دول كان أهلها يتحدثون باللغة العربية ويكتبون بها.

رابعًا: دول تستخدم فيها اللغة العربية إلىٰ جانب اللغة الأم الرسمية.

وقد ناقش هذا الانتشار الباحث عبد الفتاح عبادة منذ حوالي قرن (١٩١٥م)، ورسم خريطة لذلك استفادت منها الدراسة وطورتها (انظر الشكل ٩).

المرجع مع التعديل : عبد الفتاح عبادة " أنتشار الخط العربي في العالم الشرقي والغربي " 1915 مطبعة هندية بالموسكي القاهرة ص1

شكل رقم (٩)

رابعًا: العوامل المؤثرة في تطور الخط وانتشاره

من المهم أن نستعرض أبرز المؤثرات في الخط وانتشاره، إذ ربما لولاها ما كان للخط أن يأخذ مساره الثابت، وهي:

أولًا: الدين الإسلامي.

ثانيًا: القرآن الكريم.

ثالثًا: السنة النبوية.

رابعًا: الفقه الإسلامي.

خامسًا: نسخ الكتب والوراقة.

سادسًا: الفتوحات الإسلامية والتجارة.

سابعًا: التنوع البشري والطبيعي وأثرهما في الإبداع والابتكار.

ثامنًا: مدارس تجويد الخط.

تاسعًا: تطور القلم العربي.

عاشرًا: تطور أدوات الكتابة.

❁ ❁ ❁

❁ أما الدين الإسلامي:

فقد فتح الآفاق والمدارك ودعىٰ إلىٰ توحيد الله وتأمل الخلق والمخلوقات ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

وفتح عليهم أبوابًا جديدة للتأمل ولإعمار الأرض، وإن من إعمارها نشر الدين بالقول وبالعمل وبالكتابة. وقد تقدم خبر الكتاب الأوائل وخطابات النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومكانة الكتاب بين الناس. وتقدم لنا في صدر البحث الآيات الدالة علىٰ فضل القلم والخط والكتابة، وأن الخط والكتابة تطور كلاهما خطوة بخطوة مع قوة الإسلام وانتشاره في الآفاق. لهذا فإن الدين الإسلامي هو الوعاء والحاضن للخط وإليه ينسب وبه يعرف، من خلال دعوته الحضارية للعلم والتسلح بالقلم.

❁ وأما القرآن الكريم:

فقد نص في أول سورة علىٰ مكانة القلم، وأقسم به الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بقوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] وقوله تعالىٰ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، وباشر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ متابعة ذلك حين راجع جبريل عليه السلام القرآن مرتين لتأكيد النص وبشهادةٍ من الله تعالىٰ وضمانٍ بحفظه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]، والذي أدىٰ إلىٰ أن ينسخ في العهد الراشدي، ثم تتابع الأمر في تجويد الخط وتحسينه. ولقد بلغ نسخ المصحف رأس الأمر في الخط، فإذا مدحوا شخصًا لحسن خطه قالوا فيه: نسخ المصحف بخطه، كمصحف ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ)، وابن

البواب (ت ٤١٣ هـ) وقصته مشهورة حين أكمل مصحف ابن مقلة لما فقد الجزء الأخير منه فكتبه ابن البواب بخطه، وما استطاع أحد أن يفرق بينهما وكان آنذاك الحاكم في بغداد عضد الدولة.

❁ وأما السنة النبوية الشريفة:

فقد صرحت بمكانة الكتابة، وذلك حين اتخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتَّابًا - بتشديد التاء وضم الكاف - بعضهم لكتابة الوحي وبعضهم للمكاتبات ونحوها. بل إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إلىٰ دقائق العناية بالخط وتعليم مسك القلم ووضعه، كما روي في الترمذي، في باب الاستئذان، في قوله لكاتبه زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ضع القلم علىٰ أذنك فإنه أذكر لك**».

وكذلك في تتريب الكتابة، أي: ذَرّ تراب مخصوص عليها حتىٰ تمسك الحبر، وتمنع تلاشي الكتابة مع الزمن وحتىٰ تثبت، كما في ابن ماجه في كتاب الأدب من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**تَرِّبوا - بفتح التاء وتشديد الراء وكسرها - صحفكم فإنه أنجح لها**» بل إن وضع الخط في باب الأدب دليل قاطع علىٰ مكانة الخط.

❁ أما الفقه الإسلامي:

فقد قدمنا ما يدل علىٰ الحاجة الماسة للكتابة في إثبات الحقوق والوصايا والبيوع والوقائع والعقود كما مر بنا آنفًا. أما نسخ الكتب والوراقة عمومًا فتحتاج إلىٰ وقفة لاتصالهما بالخط وأحواله، ويأتي تفصيل ذلك.

أما نسخ الكتب والوراقة: فهما من أهم الدوافع والمؤثرات المباشرة في الخط.

❁ أما إذا ما قرنا ذلك مع الفتوحات الإسلامية:

فسيتضح جليّا، ففي بداية العهد النبوي الشريف، كان هناك نهي من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كتابة غير القرآن، لحديث: «**لا تكتبوا عني شيئا سوىٰ القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه**» أخرجه الإمام أحمد (برقم ٤٣٧)، وذلك خوفا من الانشغال بغير القرآن، أو الالتباس بغيره، وخوفًا من ترك الحفظ. وكان الاعتماد علىٰ قوة الحافظة وسيلان الأذهان الذي أغناهم عن الكتابة الكثيرة إلا لضرورة.

ولما تفرق الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وكان علمهم في الصدور - في الأمصار كونوا المدارس العلمية الفقهية، ونقلوا معهم السنن والتعاليم النبوية الشريفة، وتلقاها عنهم التابعون وتابعوهم بإحسان، مصاحبة بالكتابة التي بلا شك تطورت مع الوقت. وقد أبيحت الكتابة فيما بعد، بل وأصبحت ضرورة، لقوله تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اكتبوا لأبي شاه**» (رواه البخاري). كما أن الفتوحات مكَّنت المسلمين من الاستفادة من تجارب الأمم بشأن الكتابة وصناعة الورق والألوان والتجليد والتغليف... إلخ، فساعد ذلك علىٰ تنويع الأقلام والأحبار والنقوش والزخارف.

وكان الأسير يؤمر نظير فك أسره بأن يعلم القراءة والكتابة لعدد من المسلمين، وأثر انتشار الدين في تعلم اللغة، فقد تعلم الصحابي زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العبرية حين أمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: «**تعلم كتاب يهود؛ فإني ما آمن يهوديًّا علىٰ كتابي**»، قال: فتعلمته في نصف شهر حتىٰ كتبت له إلىٰ يهود. (رواه أبو داود والترمذي).

وذكر الكتاني في «التراتيب» أنه كان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، نقلًا عن ابن هشام (الكتاني، ٢٠١١:٢٥٤).

ومما يذكر أن الصحابي الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان عنده عدد كبير من الأرقاء، قيل: كان يكلم كل واحد بلغة قومه.

كما أثرت الفتوحات أيضًا في التعرف علىٰ عادات الشعوب والأمم في المكاتبات والمراسلات والأقلام والأحبار.

وقد ظهرت حركة التدوين مع المائة الأولىٰ في عهد عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه، عندما أمر الزهريَّ بجمع الحديث، ثم حركة التأليف في أواخر القرن الثاني والثالث الهجريين، ثم حركة الترجمة في نهاية القرن الثاني الهجري (كرامة الله مخدوم، ٢٠١٠م).

كما أن التجارة والتبادل في السلع أوقف المسلمين علىٰ كمٍّ كبير من الطرز والزخارف والصنائع المتنوعة التي وسعت مدارك الخطاطين والكتاب.

❁ أما التنوع البشري والطبيعي:

فإن أثرهما في الإبداع والابتكار لا ينفصل عن ما ذكرناه عن الفتوحات والتجارة، نقصد به أن اتساع رقعة الإسلام نتج عنه تنوع في البيئات البشرية والطبيعية، فوسع المدارك والابتكارات. فقد انتشر الدين من مكة بواد غير ذي زرع ليصل إلىٰ أقاليم ذات زرع متنوع، وفيها تنوع في الأجناس والأعراق، وكذلك في الأنهار والغابات والسهول والجبال والمناخ، كل ذلك قد زود فن الكتابة والخط بمزيد من التنوع في الشكل واللون والتنميق، كما تنوعت الأقلام وورق الكتابة.

والمتأمل للأقاليم يقف علىٰ مجموعة كبيرة من التنوع الطبيعي والبشري الذي ينعكس بطبيعة الحال علىٰ تنوع المواد المستخدمة في الخط والحبر وفي صناعة الورق والزخرفة، وكذلك تنوع الثقافات البشرية التي تميز كل مجموعة أو حضارة عن غيرها من الحضارات. فالجبال يتأثر ساكنوها بطبيعتها، فتنشأ عنها حضارة المجتمعات الجبلية أو ثقافة المجتمع الجبلي في الملابس والمآكل وطبيعة العمل الشاق والطقس. وبالمثل، فإن المناخ الرطب المداري وشبه المداري يؤثر نفس التأثير في الأبدان والطباع، فتنشأ عنه حضارة أودية الأنهار التي كانت مهدًا للحضارات الأولىٰ، التي تتسم بالارتباط الوثيق بالأرض والمكان والإبداع.

ولقد تحدث المتخصصون عن ثقافة الأرز في مقابل ثقافة القمح للتمييز بين الحضارتين، رغم أن كليهما زراعي النزعة. ولو تأملنا الجبال ذاتها، فهي أيضًا تتنوع إلىٰ جبال بركانية وجبال صدعية وجبال التوائية، وكل منها له خصائصه. فالجبال مثلًا، لا تطلق إلا علىٰ الجبال الهرمية التي عادة تكون فوق منسوب (٢٠٠٠) قدم فوق مستوىٰ سطح البحر.

وأما الجبال البركانية، فهي عبارة عن مخروطات بركانية متناثرة تشاهد في بعض المناطق ذات الضعف الجيولوجي، مثل براكين حوض البحر المتوسط وغيرها.

أما الجبال الصدعية، فهي تحدث بفعل حركات التصدع التي تحصر بينها أحواضًا صدعية هابطة تسمىٰ الأحواض والسلاسل الصدعية.

أما الجبال والسلاسل الالتوائية، فهي من أهم المجموعات الجبلية، لامتدادها الواسع علىٰ سطح الأرض، وهي كثيرة وتمتاز بسمكها الكبير،

مثل جبال أطلس شمال الجزائر.

أما التلال، فهي عادة ما تكون أقل من منسوب (٢٠٠٠) قدم فوق مستوىٰ البحر. وتختلف من حيث الحجم والارتفاع، من هرمية أو قبابية منسوبها ما بين (٢٠٠) إلىٰ أقل من (٢٠٠٠) قدم.

أما الهضاب فهي مرتفعة أيضًا غير أن سطحها مستوٍ وواسع الامتداد، (حسن أبو العينين: ٢٦٩- ٢٧٩).

أما الأقاليم النباتية، فهي تتنوع حسب العروض التي تمتد عبرها. فأبرزها غابات العروض الدنيا وتشمل الغابات المدارية المطيرة، والغابات المدارية الخفيفة.

أما «الغابات المدارية المطيرة»، فهي أكثف الغابات، وهي من خصائص الغابات المنخفضة والمنحدرات في المناطق المدارية المطيرة علىٰ مدار شهور السنة كوسط وغرب إفريقيا ونحوها، كالغابات المدارية الآسيوية. وتمتاز بالكثافة الشديدة مع اللون الأخضر الغامق، وتكاد لكثافتها وكبر أحجام ورقها أن تحجب أشعة الشمس. وأبرز أنواع الأشجار: الأبانوس والأرز الاستوائي والساج وخشب الورد والخيرزان.

أما «الغابة المدارية الخفيفة» فهي شمال وجنوب العروض الاستوائية، أشجارها دائمة الخضرة نفضية، وأقل كثافة، تختلط فيها الأشجار والشجيرات.

وأما «غابات العروض الوسطىٰ» فتشمل أحراج البحر المتوسط، والغابات العريضة الأوراق، والغابات المخروطية.

أما «أحراج البحر المتوسط» فهي دائمة الخضرة، تجف قليلًا في الصيف، وأشهر أشجارها الزيتون والبلوط والصنوبر والأرز والشجيرات الأصغر حجمًا.

«أما الغابات عريضة الأوراق» فهي في العروض الوسطىٰ الرطبة المعتدلة الباردة، يظهر فيها أشجار الصنوبر وأشجار الزان. وعمومًا تتنوع إذا ارتفعنا إلىٰ أعلىٰ أو إذا نزلنا باتجاه غابات البحر المتوسط.

أما «الغابات المخروطية» فتنقسم إلىٰ قسمين، حسب خط العرض إلىٰ:

«الغابات شبه القطبية» التي تقرب من منطقة الدائرية القطبية، وتمتد علىٰ نطاق شرقي غربي لتصل إلىٰ ما يسمىٰ بالتندرا. وتتنوع الأشجار فيها وهي أشجار ورقية كالصنوبر والصفصاف والحور.

وأما النوع الثاني من الغابات المخروطية فهي: «غابات العروض الوسطىٰ»، وهي من أكبر موارد الأخشاب في العالم، ويمتد فيها أكبر نطاق للغابات الصنوبرية في العالم، وأشجارها ضخمة وكثيفة.

ويتصل بذلك نمط من الحشائش، مثل «حشائش السافانا» وهي الحشائش المدارية الحارة التي تقع وراء الغابات المدارية المطيرة، حيث لا يناسب هذه العروض إلا الحشائش أو الشجيرات القزمية أعلاها السافانا الإفريقية وأدناها الحشائش الصحراوية.

أما «حشائش العروض الوسطىٰ» فتسمىٰ بحشائش «الإستبس» وهي في المناطق الأبرد قليلًا، تقل فيها الأشجار عمومًا.

أما «نباتات الصحراء» فهي معروفة بالقفر والجدب وندرة النبات، وهي أشبه كذلك في الصحاري الجليدية أيضًا، حيث تنتشر أعشاب التندرا، لكنها تنتعش في فترة ذوبان الجليد، فتظهر الأشجار المخروطية علىٰ سفوحها.

أما «التربة» فهي تتنوع أيضًا إلىٰ أربعة أنواع من الترب:

النوع الأول: «تربة البودزول» وتنشأ في ظروف المناخ البارد وهي من الترب التي تتعرض للغسل، وهي علىٰ أنواع: منها البودزول الرمادية، والبودزول الحمراء، والصفراء، وهي معقل الغابات الصنوبرية.

أما النوع الثاني: فهي «تربة اللاتريت» وهي ترب المناطق المدارية وهي شديدة الاحمرار وتنتشر في إقليم الغابات المطيرة وغيرها.

أما النوع الثالث: فهي «التربة السوداء» وهي أشهر أنواع الترب، وتمتاز بخصوبتها ووفرة إنتاجها، خاصة تربة البراري.

ثم أخيرًا: التربة الصحراوية، سواء الباردة كتربة التندرا أو ترب المناطق الصحراوية الحارة الفقيرة بالمواد العضوية أو الغذائية كما هو معلوم (صلاح الدين البحيري، ١٩٧٨: ٢٨٧- ٢٩٦ و٣٠٢- ٣١٣).

إن هذا التنوع الطبيعي وما يتصل به من تنوع بشري في الأجناس والطباع والأعراق والعادات والبيئات، كل ذلك يؤثرعلىٰ الثقافة التي يحملها الأشخاص فيما يتعلق بالكتابة والوراقة والزخرفة ونوع الألوان ودرجاتها التي تتنوع بأثر ذلك. فبعض الحضارات والثقافات يكثر عندها التلوين والتطريز بأثر ما حولها من بيئات. فالخط المشجر والمورد والموشىٰ والتزيين والزخارف تجدها من نتاج هذه البيئات، حتىٰ إن شكل

الوردة أو الورقة يعكس موضعها المكاني. وهذا يفسر ازدياد الزخرفة الشجرية والورقية والورود مع البعد عن مكة المكرمة التي نشأت بواد غير ذي زرع، حيث تقل الزخرفة في المخطوطات بشكل واضح، علىٰ سبيل المثال المصاحف النجدية ونحوها كالمصحف الكويتي (انظر الملاحق).

❁ أما بشأن مدارس تجويد الخط:

فقد ساعدت المدارس بتوجهاتها واهتماماتها علىٰ تنوع الخط وتقويته. ذكر (الدالي، ١٩٩٦) أن من أوائل مدارس الخط المدرسة الشامية، التي تلقت الخط عن خالد الهياج وقطبة المحرر، ثم جاءت بعدها المدرسة العراقية في العصر العباسي علىٰ وجه الخصوص، ونبغ فيها الضحاك، وإسحاق بن حماد، والشجري والأحول، وغيرهم إلىٰ فترة بروز أئمة تجويد الخط كابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي، هاتان المدرستان: أي: الشامية والعراقية، وعلىٰ الأخص العراقية العباسية هي التي بلغت بالكتابة العربية مرحلة الجمال ومعاييره وأحكامه، بل إنها هي المقررة لقواعد الخط العربي، فوق كونها مجودة له.

أما المدرسة المصرية المملوكية علىٰ وجه الخصوص، فقد جمعت تراث الخط وجودت الخطوط المشتقة من خط الطومار الكبير (خط الثلث والثلثين) واعتنت بميراث المدرسة العراقية العباسية.

ومن مدارس التجويد المدرسة السلجوقية الأتابكية، التي جودت خط النسخ، ولذلك كان المصحف السلجوقي الأتابكي أجمل من المصحف المملوكي.

والخاتمة في المدرسة التركية العثمانية، التي جمعت جملة من خطوط

المدارس السابقة. فقد أخذت من المدرسة المصرية قلم الثلث والثلثين عن المماليك ثم طورتهما، كما أنها أخذت عن السلاجقة خط النسخ وطورته بأسلوبها الخاص، ثم إنها ابتكرت خطين جديدين هما خط الرقعة والخط الديواني، والأخير تبناه السلاطين، بل إن بعض السلاطين كانوا من أبرز الخطاطين كما مر بنا سابقًا، ولم يتوقف العثمانيون عند ذلك، بل طوروا قلمين جديدين هما خط الإجازة الذي جمع بين النسخ والثلث، والخط الهمايوني المولد من الخط الديواني، كما تفردوا بخط الطغراء الذي صُدّرت به الأوامر السلطانية والتوقيع السلطاني. وأبرز أئمة الخط هو حمدالله ابن الشيخ أو ياقوت الروم، والحافظ عثمان المبرز في خط النسخ (الدالي، ١٩٩٦: ٦٨-٧٠).

❁ أما تطور القلم العربي:

إذا كان القلم هو أداة الكتابة، فإن تطور الكتابة مرهون بلا شك بتطور هذا القلم. ولقد بدأ تطور القلم من حين الانتهاء من نسخ المصحف الإمام الذي خطه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعمل منه عدة نسخ ووزع في الأمصار كما أسلفنا، ومن تلك اللحظة بدأت الأقلام تظهر تباعًا حين تسابقت الحواضر الإسلامية في نسخ المصحف دون توقف، وذلك للحاجة الماسة لهذا الدستور السماوي الخالد لجميع حواضر الإسلام مع التوسع في نشر الإسلام.

إن أقلام الخط تطورت وتبدلت مع التوسع الحضاري الإسلامي، فاللغة العربية كانت تسري في نموها وانتشارها مع فتوحات العرب، فأينما حل العرب حلت لغتهم وأبادت اللغة الأصلية، فكذلك الخط العربي فقد

كان يسير في انتشاره معها جنبًا إلىٰ جنب، ولكنه تجاوزها إلىٰ الإسلام فأينما حل الإسلام حل الخط العربي وأباد غيره من الخطوط (الكردي، ١٩٣٩:٥٣).

بل إن الخط ذاته من حيث القلم وشكل الحرف، يتناسب مع العلم الذي يستعمله، فقلم المصحف غير قلم الحديث النبوي، وهما غير قلم الفقه والتاريخ والشعر وهكذا.

ولقد ذكر الكردي (١٩٣٩) في كتابه الفريد «تاريخ الخط العربي»، وكذلك الدالي (١٩٩٦) أن الأقلام الأساسية وهي المعبر عنها «بالأقلام الستة» التي يجب أن يعرفها الخطاط تمام المعرفة ولا يسعه أن يجهلها وهي: الثلث، والنسخ، والرقعة، والديواني، والفارسي، والإجازة. أما ما تفرع عنها فتسمىٰ الخطوط الفرعية، سميت بذلك لأنها لم تتغير عن شكلها الأصلي، مثل: جلي الثلث، وجلي الديواني، وجلي الفارسي، والريحاني، وخط التاج. ومعنىٰ الجلي أي: الظاهر أو الكبير الواضح، الذي بَرْيُ القلم فيه يصل إلىٰ سنتيمتر واحد.

أما «خط الثلث» و«خط النسخ» فلا يسمىٰ خطاطًا ما لم يتقن هذين الخطين. وواضع أصول الثلث الإمام الوزير ابن مقلة، كما أنه هو الذي وضع النسخ أيضًا، حين اشتق قواعده من الخط الطومار، وسماه البديع، ثم أطلق عليه الخط النسخ واشتهر بذلك الاسم وذلك لكثرة استعماله في نسخ الكتب. وقد برز العثمانيون الأتراك في تحسين هذين الخطين فيما بعد كما تقدمت الإشارة إليه.

أما «خط الرقعة» و«خط الديواني» فهما أقل صعوبة من الخطين

السابقين، وذكر الكردي (١٩٣٩) أن من أتقن الرقعة لم يصعب عليه الخط الديواني.

أما «الخط الفارسي» فهو ثلاثة أنواع: أبرزها النستعليق، تنسب أصوله إلىٰ الخط العربي بسبب دخول الإسلام إلىٰ فارس ثم إنه اتخذ له قواعد خاصة تميزه عن غيره.

أما الخط السادس والأخير فهو «خط الإجازة» أو التوقيع، وهو ما بين الثلث والنسخ، وضع أساسه الشجري مستنبطًا من الخط الجليل، وسمي بالخط الرياسي لأنه يحرر به مكاتبات السلاطين، ذكره الكردي (١٩٣٩).

أما الدالي (١٩٩٦) فقد قسم الأقلام إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولًا: الأقلام القديمة، ثانيًا: الأقلام الحديثة، ثالثًا: الأقلام المستقلة.

أما الأقلام القديمة أو المستعملة من قبل، فتصل إلىٰ أحد عشر قلمًا، فتشمل: قلم الطومار، وهو من أنواع القلم الجليل، سمي بذلك نسبة إلىٰ ورقة الخط الكبيرة بعرض ذراع. وقلم مختصر الطومار، وقلم الثلثين، وقلم المدور الصغير لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر، وقلم المؤامرات الخاص بمحاضر ما دار بين الأمراء من نقاش، وقلم الحرم الخاص بالأميرات، وقلم العهود لكتابة العهود، وقلم غبار الحلبة الذي يحمله الحمام الزاجل، وقلم التوقيع كان يوقع به الخلفاء، وقلم الرقاع لديوان الإنشاء، والقلم البديع أو الخط المنسوب وفق الرسوم والقوانين لرسم الحرف، سمي بذلك لتناسب أشكاله ونسبة ذلك إلىٰ الإمام الذي طوره وحسنه.

أما الأقلام الحديثة: فتشمل قلم الثلث، وهو ثلث الطومار، وقلم النسخ، وقلم الرقعة. وقلم الفارسي ويشمل التعليق ونستعليق، وقلم الديواني، والديواني الجلي، والقلم الكوفي، والقلم المغربي ويشمل القيرواني والأندلسي.

أما الأقلام المستقلة: فتشمل الطغراء، وهو في الأصل للتوقيع السلطاني، ويرجع إلىٰ العهد المملوكي، ولكنه ظهر جليًّا في العهد العثماني، والخط الهمايوني وهو الخط الملكي الذي يشمل الديواني وجلي الديواني والطغراء، وقد اعتنىٰ به الأتراك، وخط حرف التاج الذي ابتدعه الخطاط المصري محمد محفوظ في عهد الملك فؤاد (١٣٤٩هـ)، لأنه يتصل بصاحب التاج ملك مصر (الدالي، ١٩٩٦: ٧١-١٠٢).

❁ أما بشأن تطور أدوات الكتابة:

فالشيء نفسه يقال عن تطور أدوات الكتابة التي تماشت مع حاجة الخطاط وسهلت عليه الابتكار والإبداع. فقد كان العرب يكتبون علىٰ الجلود واللخاف والعسب والكرانيف التي هي أصول النخل بعد قطعه، والرقاع وعظام الأكتاف. وتطور الأمر إلىٰ الكتابة علىٰ النسيج والحرير، وكان لعدم ظهور الورق أثر كبير في ضخامة أحجام المخطوطات والكتابات، وكان يستعان بالدواب لحملها.

بعد ذلك بدأ يظهر الورق كالورق الصيني والهندي ثم الخراساني وعرف في العهد الأموي ثم العباسي مع توسع الفتوحات الإسلامية. ويشير الكردي (١٩٣٩) إلىٰ أن الورق ظهر في عهد الخليفة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان من كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قدمنا. واستمر الأمر إلىٰ

ظهور الورق الأنيق بأشكاله، خاصة مع ظهور آلات الطباعة فيما بعد.

ولقد ظهر علىٰ إثر ذلك مهنة مهمة في هذا المجال هي الوراقة والوراقون. يشير خير الله سعيد (٢٠١١) في موسوعته «موسوعة الوراقة والوراقين» إلىٰ أن الوراق هو ذلك الشخص الذي يمتهن حرفة الوراقة، بحيث يكتب أو ينسخ المصاحف والكتب، ويطلق أيضًا علىٰ من يبيع الورق. لهذا فهي مهنة تحمل في طياتها الإبداع والتجارة، وكذلك فإنها تخدم الحضارة عمومًا بتوثيق وكتابة علوم الشريعة والعلوم التجريبية والأدب والتاريخ وكل ما تحتاجه الحياة العلمية. ولقد توسعت هذه المهنة مع تطور الحياة العلمية، فأصبحت الوراقة تطلق كما ذكر خير الله سعيد (٢٠١١) علىٰ:

أ- النسخ، ويدخل معه التزويق والتذهيب.

ب- تجليد الكتب بأنواع الأغلفة المناسبة بحسب نوع العلم المكنون في الكتاب.

ج- بيع الورق، ويدخل في ذلك بيع أدوات الكتابة، كالأقلام والأحبار وملحقاتها.

د- بيع الكتب، وتشمل بالطبع بيعها بعد إتمام النسخ والتجليد.

ولا بد أنها تشمل أيضًا ترميم الكتب والورق والزخرفة ونحو ذلك.

ولقد تطورت الوراقة مع ظهور مجالس الأمالي، حتىٰ إن النسخ أصبح منهجًا علميًّا قائمًا بذاته، يشمل الحصول علىٰ المخطوط الأصلي الذي عادة ما يكون بخط المؤلف أو بخط أقرب تلامذته، ثم الحصول

عل الإذن من المؤلف للسماح بنسخ المخطوط ابتداء، ثم مقابلة ما نسخ علىٰ المؤلف لضبط العبارات والسياق، ومن ثَمَّ الحصول علىٰ الإجازة النهائية من المؤلف بعد أن ارتضىٰ الأصل الذي ينبغي النقل منه إلىٰ النسخ المستخرجة عنه.

والشيء نفسه يقال عن القلم ذاته كما أشرنا، أما الأحبار فقد كانت تصنع من مواد خاصة. ومما يحسن ذكره، أن التحبير لغة: هو الاجتهاد في تجويد الخط وتجميله وتزيينه، فإذا قال شخص: «كتبه فلان وحبره تحبيرًا» أي: بالغ في تجويده وتحسينه، وسمي كذلك بالمداد لأنه يمد القلم ويعينه علىٰ الانسياب والتحرك، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فيه بيان لعلم الله تعالىٰ وأنه لا حد له مع ذكر القلم والمداد. وذكر العلامة المفسر ابن كثير في تفسيره أن قوله تعالىٰ في سورة القلم: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] قيل: المراد بقوله تعالىٰ: ﴿نٓ﴾ دواة، والقلم: القلم، وقال ابن جرير: إن ابن عباس قال: «إن الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم، فقال له: اكتب، قال وما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة».

وكان الحبر قديما علىٰ نوعين: الأول: الحبر الفحمي، والثاني: الحبر العفصي المعدني، وذكر البهنسي (١٩٩٥) في «معجمه» تحت كلمة مداد، أن المداد هو الحبر، وسمي مدادًا؛ لأنه يمد القلم ويعينه بالاستمداد، وكان يصنع من الكافور والعفص والزاج والصمغ، وأن هناك أنواعًا من المداد تستعمل فيه مواد مختلفة، خاصة قشر الرمان، والمداد الأبيض، من الزرنيخ، أو مداد السناج. وعند الإمام ابن مقلة أجود المداد ما اتخذ من

سخام النفط.

وقد تبين ذلك في نظم بعض الخطاطين، بقوله عن صناعة الحبر أو المداد، وهوالإمام ابن البواب في رائيته المشهورة:

وألق دواتك بالدخان مدبرا بالخل أو بالحصرم المعصور

وأضف إليه مغرة قد صولت مع أصفر الزرنيخ والكافور

ولقد ازداد تطور الأحبار الآن بشكل كبير وتنوع، لكن لايزال الحبر المصنع يدويًّا بيد الخطاط المتمرس نفسه يبعث في نفسه الراحة والطمأنينة لضمان حركة القلم كما يفعله كثير من أساتذة الخط.

أما أدوات الكتابة فقد ازدادت وكثرت مع دخول عنصر الزخرفة والتنميق والتزيين، فتشمل الدواة، والقلم أو البوص - وهو القصب الذي اتخذ مقاييس محددة تحدد طبيعة الخط والحرف - والمقلمة، والمدية، والمقط وهو عود بعرض أصبعين صلب لقط القلم - أي: قطع رأس القلم - بحسب الانحراف المرغوب، والمحبرة، والحبر أو المداد، والليق وهو الحرير أو اللباد أو القطن الذي يوضع داخل الدواة ليثبت الحبر حين يمسه الخطاط برأس القلم ليستمد الحبر للكتابة، والورق بحسب نوعه، والمترّبة وهو نوع من التراب يترب به الخط ليثبت حتىٰ لا يسيح علىٰ الورق ويدوم، والمدية أو السكين لبري القلم، وطاولة الرسم التي يستند عليها الخطاط حين يكتب، يضاف إلىٰ ذلك أدوات تنظيف ومسح شوارد الحبر والكتابة من أنواع الخرق والمناديل المخصصة.

ولقد نتج عن صناعة الوراقة التي هي اللسان الناطق للقلم ظهور طبقات من العلماء الذين اتصفوا بحسن الخط، إضافة إلىٰ تخصصهم

العلمي الذي برزوا فيه، فجمع بعضهم بين العلم والأدب وحسن الخط.

❁ من خصائص الخـط:

ناقش العلامة الشيخ محمد الكردي في كتابه القيم «تاريخ الخط العربي وآدابه» قضيتين أساسيتين اختص بهما الخط العربي، هما:

١- أسرار الخط العربي.

٢- ميزة الحرف العربي عن غيره من الحروف الأجنبية.

استعرض العلامة الكردي (١٩٣٩) الأسرار التي امتاز بها الخط العربي، وذكر أنه لا يعرفها إلا الماهر الخبير، والفنان النابغة التقدير، وهذه الأسرار علىٰ النحو التالي:

أ- إن الله تعالىٰ لم يهب حسن الخط إلا لمن استكمل خلقه وأخلاقه، فكل من تناسبت أعضاؤه كان أقرب إلىٰ الإبداع في الخط إذا توافق مع قدرته الخاصة في إجادة ومحبة الخط وفنونه.

ب- إن في خط الرجال والنساء فروقًا واضحة، فخط المرأة يراعي الرونق والرشاقة أكثر من خط الرجل، خاصة إذا كانت متميزة في خطها، بينما خط الرجل أقرب إلىٰ المتانة.

ت- يتأثر الخط بنفسية الكاتب في الجودة وعدمها بحسب انفعالاته من فرح وحزن وخوف وشرود ذهن واضطراب، باعتبار أن القلم أحد اللسانين كما يقال، فما يصيب الإنسان من اضطراب في حديثه إذا كان منفعلًا، فكذلك الحال في الخط.

ث- يخبر أو يفصح الخط أحيانًا عن هيئة الكاتب من حيث طول قامته

أو قصرها، فإذا كان طويل القامة كان خطه أكثر ميلًا إلىٰ بسط الحروف وانفراجها، بخلاف قصير القامة الذي يضم الحروف ويجمعها.

ج- ومن ذلك أنه يستحيل علىٰ الكاتب أن يكتب جملة فأكثر مرتين مثلًا علىٰ طريقة واحدة بحيث تنطبق الأولي علىٰ الثانية، إذ لا بد أن يكون هناك فرق، وعادة ما يكون ذلك في الأجزاء الدقيقة من الكلمات والجمل.

ح- إن بعض خطوط عباقرة الخط فيها مسحة من الجمال المعنوي الذي يدركه المتخصص، وربما العامي ببصيرته قبل بصره، وهو ما يسميها البعض روح الجمال أو عبقرية الجمال، وهذا الذي جعل بعض أهل الخط أبرز من غيرهم.

خ- إن تجويد الخط يكاد يكون مقصورًا علىٰ الرجال دون النساء، بمعنىٰ أن الخط مهنة ألصق بالرجال، ولم يبرز في الخط من النساء إلا عدد أقل من الرجال، وهذا يمكن تصوره مع اشتغال النساء في أمور الأسرة والأطفال والظروف الاجتماعية التي تحول بين المرأة وبين تطوير خطها. لكن هذا الأمر غير مطرد، ذلك أن بعض عصور الإسلام ظهر فيها خطاطات كثر، حيث ذكر البهنسي (١٩٩٥) نقلًا عن أحد المستشرقين أن الخطاطات في الأندلس وصلن إلىٰ (١٧٠) خطاطّة لنسخ المصحف بالخط الكوفي، منهن الخطاطة لبنىٰ مولاة الخليفة الناصر، وفي الآونة الأخيرة وبعد انتشار الخط ازداد عددهن بوضوح الآن.

د- إنه لا يمكن للخطاط أن يكتب خطًّا جميلًا متقنًا في كل وقت، بل في وقت دون آخر، وذلك بحسب استعداده وحضور نفسه واستحضار مشاعره.

ذ- إنه لا يوجد اثنان في العالم تتشابه خطوطهما في جميع الحروف، فكل خصه الله تعالىٰ بشيء أو عدة أشياء، وهذا يفسر ظهور أئمة الخط.

ويمكن أن نضيف أربعة أمور أخرىٰ غير التي ذكرها الخطاط محمد الكردي، هي:

ر- أن الخطاط إذا أهمل التمرين اليومي، فإن ذلك يظهر علىٰ خطه بوضوح، بحيث يستشعر المتابع أن الخط أصابه شيء من التغيير، وهذا سمعناه من أئمة الخط المعاصرين.

ز- إن الدربة المستمرة تحافظ علىٰ رونق الخط، وهي مفتاح الابتكار والإبداع، إذ لا يأتي ذلك إلا من خلال معايشة القلم لحظة بلحظة وساعة بساعة، ومن هنا يأتي تطوير رسم الحرف.

س- إن الخط العربي يتماشىٰ مع طبيعة العلم أو الفن الذي يكتبه الخطاط، فآيات القرآن الكريم لا يناسبها إلا خط معين يراعي متانة المعنىٰ والإعجاز كالنسخ وخط الثلث، وكذلك السنة النبوية الشريفة.

أما علوم الشريعة فيناسبها أحيانًا الفارسي أو النستعليق أو ما يعرف بالخط الدارج الذي يجمع بين النسخ والفارسي، خاصة إذا كان الناسخ لا يحسن قوانين الخط فيخلط في كتابته بين خطين. وكذلك الحال في كتب الأدب والتاريخ لها قلمها الخاص بها، مما يتطلب سرعة وسهولة وقصرًا في الحروف كالرقعة ليتناسب مع السرد والسياق، أما التواقيع السلطانية فيناسبها الديواني، وهكذا.

ش- إن الخط العربي له ثوابت ومتغيرات، فالخط بذاته إبداع يتضمن مقاييس جمالية ثابتة تعتمد النقطة وحدة للقياس. وكلما تناسبت المقادير

والنسب في رسم الحرف اتزن الحرف وانضبط.

فالحروف محددة الطول والسمك والحجم، ويختلف ذلك حسب نوع الخط ونوع القلم بحسب ما رتبه أئمة الخط وتعارفوا عليه، فلا يستطيع الخطاط أن يكتب كيفما اتفق له دون أن يراعي قوانين الحروف وأصول الصناعة الخطية. أما المتغيرات التي تدخل ضمن التنميق والتزيين أو الزيادة والابتكار المعتبرين فلا بأس بذلك، بشرط أن يكون الخطاط ملمًّا تمام الإلمام بحرفة الخط، بحيث لو أراد أن يبتدع رسمًا أو خطًّا فلا بد أن يكون بحسب الأصول المرعية.

أضف إلىٰ ذلك ما قيل من أن الخط يرتبط بجمال المعنىٰ، فلا يستطيع إنسان أن يقول أو يختار كلامًا قبيحًا ثم يحاول أن يجمله بالخط مهما أوتي من قدرة؛ لأنه ساقط المعنىٰ لا يتماشىٰ مع رسالة الخط ورونقه.

وقد أجمل ادهام حنش «علوم الخط العربي» (٢٠١٥م) المتضمنة ما ذكر سابقًا، بقوله: إن ذلك يجمع تحت عنوان «خطوط المصاحف»، - تمييزًا لها عن خطوط الكتّاب والوارقين - ويشمل كل علوم الخط العربي وهي: علوم الإملاء والمتضمن لعلم إملاء الخط وعلم رسم المصحف وعلم التهجي، كما يشمل علوم الصور الخطية مثل علم ترتيب الحروف، وعلم تحسين أشكالها، وعلم توليد أنواع الخطوط؛ ثم علوم الصناعة الخطية المتضمنة لعلم قوانين الكتابة، وعلم أدوات الخط، وعلم تركيب مداد الخط.

❋ ❋ ❋

أما القضية الثانية فهي
ميزة الحرف العربي عن غيره من الحروف الأجنبية

يمتاز الخط والحرف العربي عن بقية خطوط الشعوب والأعراق الأخرىٰ بأنه أرقىٰ وأجمل الخطوط في العالم، بما له من حسن شكل وجمال هندسة وبديع نسق وإبهار يأخذ بألباب الناظرين.

ولا يوجد كتابة تحتمل القلم ومشاعر الكاتب والخطاط ما تحتمله الكتابة العربية، وذلك بإقرار من كل منصف من غير العرب من المستشرقين والمثقفين والمتابعين.

❁ يمتاز الحرف العربي بعدة أمور، منهـا:

أ- قابليته للتشكل بأي شكل هندسي، مع قدرته علىٰ مسايرة هذا التشكيل من غير أن يطرأ علىٰ جوهر الحرف أو الكلمة أي تغير أو تبديل، مقارنة بالخط الأجنبي أو الإفرنجي أو الصيني أو الهندي، الذي يميل إلىٰ الشكل المنحني والمنكسر وينتهي بدقة الحرف، ويصعب عليه تقبل الترميم والتجميل إلا بمشقة مصطنعة.

وقد أضاف أياد عبدالله (٢٠٠٨) شيئًا من ذلك، من أن اختلاف المنطق الجمالي للخط العربي والفنون الإسلامية عن المنطق الجمالي عند الغرب، مرجعه إلىٰ تعدد وسائل ومعايير القياس بينهما، وإلىٰ عدم صلاحية استخدام مقاييس أحدهما للآخر، وكون كلٍّ منها ينتمي إلىٰ أصول تتناقض وتختلف عن الآخر. ونتيجة لذلك فقد تباين الخط العربي

من الناحية الفكرية، والناحية الجمالية، والناحية التطبيقية، والناحية التقنية أيضًا عن غيره من الخطوط، لهذا تطرق الأمر إلىٰ المنطق الجمالي للوحة والحرف العربي. ويضيف إياد (٢٠٠٨) بأن المنطق الجمالي في الحرف العربي يرجع إلىٰ عدة أمور، منها:

◈ «الأصالة» من خلال الاعتماد علىٰ أصول متينة ومتجذرة في الدين الإسلامي، مما يجعل اللوحة معتمدة علىٰ ماض رصين وموروث عميق الجذور، مما أبقىٰ الخط العربي محافظًا علىٰ شكله وأصوله ورونقه.

◈ و«الإتقان» عملًا بحديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**» رواه الطبراني، الذي يفرضه الأمر الشرعي، وكذلك الذوق العام الذي ترتب بعامل الأصالة علىٰ حساب الذوق الخاص الذي تأباه الأصالة والموروث التليد.

◈ و«اللا محاكاة» أو عدم التقليد، اعتمادًا علىٰ جماليات مطلقة ممتدة في الزمان، لهذا تجد أن الخط لا يتأثر بالمتغيرات المادية لأنه لا يستمد معاييره منها.

◈ و«الانتظام» وهو مشاهد ومحسوس من حيث توافق الحروف وانتظامها في سلك العبارة والجملة المأخوذة من النظام اليومي للصلوات وأوقات العبادة الدورية، ولا تجد ذلك في اللوحة الغربية التي لا تعرف لها تأويلًا، بل في أحيان كثيرة يضرب المطلع عليها أخماسًا بأسداس عَلَّهُ يظفر بشيء من مكنونها الغامض، حتىٰ انتهىٰ الأمر بالفن الغربي إلىٰ مدرسة السريالية التي لا تعرف من خلالها ماذا يريد صاحب اللوحة؛ لأنها تتعامل مع العقل الباطن والرموز وما وراء الواقع.

◈ وهناك أيضًا «الاطمئنان» ومرجع ذلك إلىٰ الاستقرار النفسي للخطاط، بعيدًا عن الهموم والظنون والهواجس؛ لارتباط النفس بعقيدة متينة وإيمان بالغيب والقدر خيره وشره، وقد بيَّنَّا آنفًا أثر نفسية الكاتب علىٰ الخط.

◈ و«ذوبان الخطاط في عمله»، والمقصود بذلك أن الفن الإسلامي يستوعب الطابع الخاص للخطاط وذاته لينصهرا في الذوات العامة، فلا تجد خطاطًا إسلاميًّا بهذا المعنىٰ، بل خطًّا إسلاميًّا أو فنًّا إسلاميًّا بدلًا من فنان إسلامي، مع وجود بعض الخصوصيات لكل خطاط من حيث درجات التجويد بطبيعة الحال، أما اللوحة الغربية فتجد أن الفن الغربي يؤكد حضور الفنان ذاته وأسلوبه وطابعه وتجربته الذاتية التي تعكس رؤيته الخاصة[1].

ب- تشابه حروف الخط العربي بكثير من معالم الجمال البشري أو بقية المخلوقات الجميلة، فالحاجب يشبه بحرف النون، وحرف العين تشبه بالعين الباصرة عند وزن رأس العين بالمقاييس، والفم بالميم والصاد، والثنايا بحرف السين، والألف بالقامة الخاشعة حسب ميلها. وأحيانًا ببعض المخلوقات، كالهاء المنفردة تسمىٰ عين القط، والطاء أشبه بمركب ذي شراع، ونحو ذلك.

ت- إن الحرف العربي سهّل علىٰ العلماء المسلمين تقديم خدمة جليلة لعلوم التلاوة، فأبعدوا عنه كل خلل وزلل ووضعوا لذلك قوانين

(١) إياد حسين عبدالله «المنطق الجمالي بين الخط العربي واللوحة الغربية»، في حروف عربية، ع ٢٠، س ٧، ربيع الآخر (١٤٢٩هـ) - أبريل/ نيسان (٢٠٠٨م)، (ص ١٢-١٧).

وأقيسة. وكان الحرف مطواعًا متماشيًا مع مواضع الوقف اللازم والوقف الجائز ومواضع السجدات ونحو ذلك. يلاحظ ذلك في خدمة علماء القراءات الذين حفظوا القرآن عن ظهر قلب ووضعوا لحروفه قواعد تحفظ لسان القارئ من الخطأ في نطق الحروف، وألفوا علىٰ ذلك كتب التجويد ورسائله التي تقوم أساسًا علىٰ ضبط مخارج الحروف بصورتها العربية الفصيحة.

ث- مناسبة الخط العربي وحروفه للدلالة علىٰ الأرقام الحسابية، بحيث لو نظر إنسان إلىٰ كلمة ما يستطيع أن يعرف مدلولها الرقمي. وقد وضعوا لذلك جداول تبين قيم كل حرف، فمثلا أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، س = ٦٠، ق = ٨٠، ولا تزيد الحروف عن ١٠٠٠. فإذا زاد الحساب عن ١٠٠٠ كرر الحروف بقدر العدد المطلوب. مثال: كتب أحد الشعراء قصيدة من الشعر يرثي بها أحد العلماء، وفي آخرها ذكر بيتًا يبين فيه تاريخ وفاته، فقال:

وآلمني المصاب فقلت أَرِّخْ (كذا الأيام عَزّ لها قرارُ)

٧٢٠ ٨٣ ٧٧ ٣٦ ٥٠١ = ١٤١٧هـ

ج - غِنىٰ اللغة العربية بالمترادفات وسعة جذورها، ساعد ذلك علىٰ تزويدها بحصيلة عظيمة من الكلمات التي تنوب عن بعضها البعض، مما يوضح المعنىٰ ويقربه ويحسنه. يشاهد ذلك في الأشعار والمنثور وجوامع الحكم، كل ذلك زود الخط العربي بقدرات متجددة للتعامل مع الحرف وإخراجه بصور تفصح عن مكنون الكلمات قبل قراءتها، ولا حاجة لذكر عدد جذور الكلمات ومشتقاتها في اللغة العربية التي لا تجاريها لغة أخرىٰ.

❁ البعد التشكيلي والنفسي للخط:

لا شك أن الخط بحد ذاته موهبة تكمل الأديب والعالم، والخط عند البعض فن تشكيلي أبدعه المسلمون، يقوم علىٰ جمال الحرف وتناسق الكلمات، مما يؤدي إلىٰ تلاحم الشكل مع الموضوع، كما ذكر البهنسي (١٩٩٥). والإبداع عمل حسي مرتبط بالنفس، ولهذا تجد أن جمال الخط وتناسقه يرتبط بصفاء النفس وبعدها عن المزعجات والمنغصات.

ولما كان رسم ذوات الأرواح من المحرمات، فإن الخطاط المسلم أفرغ قدراته وإبداعه في الحرف والكلمة التي باتت تنطق بمكنون الخطاط وتغنيه عن التصوير المشبه بالمخلوقات التي حذر منها الشارع الحكيم لضمان خلوص التوحيد والتعلق بالله تعالىٰ وحده لا شريك له، ثم إن الخطوط لما تطورت كانت جميعها ضمن نظام التناسق والتوافق والانسجام المشاهد في المخلوقات، فلا تجد أي تضاد أو تنافر، قال تعالىٰ: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [المُلك: ٣]. إن عدم التفاوت هذا رتب في نفس الإنسان تذوق الحسن والجمال في الأشياء ومعرفة القبيح في النفس والطبع أو بالنظر المجرد.

ويضيف محمد البندوري (٢٠١٠) بأن التشكيلات البديعة للخط العربي تمزج ما بين النص ورسم الحرف، وتعكس المعاني بصورة بديعة علىٰ سبيل المثال في الشعر العربي من حيث علاقة الشعر بالتصوير الفني للحرف، وذلك بعد أن ثبت الخط بأشكاله الخطية والدائرية، فتوحي بإضافة مدلول جديد للحرف والكلمة.

❁ زخرفة وتزيين المصحف:

من مقومات جمال الخط العربي مراعاة «الشكل» من حيث تحسين الحروف وشكلها وهيئتها، ومراعاة المقادير والأوزان في رسم الحرف حرًّا أو متصلًا بغيره، كالتوفية والإشباع والإرسال، ونحو ذلك[١].

ويتصل بذلك «الضبط» الذي يرتبط بمرسوم الخط القرآني ورموز القراء والشكل والإعجام والزينة والتحلية، إضافة إلىٰ الضبط النحوي والإملائي. وهناك أيضًا «الوضع» للحروف وترتيبها في أحسن نظام، من خلال مراعاة المسافات والقواعد الفنية التي يتذوقها الخطاط فيظهر المرسوم الخطي علىٰ أتم صورة.

غير أن الأمر لم يتوقف علىٰ ذلك، بل ظهرت الزخرفة والتزيين الخارج عن مرسوم الخط، من حوله أو علىٰ جوانبه، ليظهره بأبهىٰ صورة، وهو ما حدث مع التوسع الجغرافي للخلافة الإسلامية، فاتصلت بثقافات ذات حضارة تراعي الزخارف والتزيين، بينما لم يحبذ البعض الزخرفة لشبهة التحريم، مخافة إدخال الصور، وهو أمر منهي عنه، وحتىٰ لا ينشغل ذهن الخطاط بمراعاة جماليات أخرىٰ غير الحرف وليصرف جهده إلىٰ الخط.

وأن الخط إذا ما تمت زخرفته فإنه يحمل معاني وأسماء بعض الأشياء، فيطلق عليه أسماء تعبر عنه كاللؤلؤ، والعقد المنظوم، والمرصع، والوشي، والنرجسي، والوردي، والشجري، والمورق، البهنسي (١٩٩٥). وكل

(١) إدهام حنش، «خطوط المصحف»، في علم المخطوط العربي: بحوث ودراسات، إصدار خاص من قبل «مجلة الوعي الإسلامي الكويتية» رقم (٧٩)، (١٤٣٥/ ٢٠١٤)، انظر الصفحات٤١٧- ٤٨١.

ذلك يدل علىٰ تنوع الأشياء والأشجار، وأوراق الشجر، والورود، والنبات، وهذا غالبًا من المؤثرات من خارج إقليم جزيرة العرب بأثر توسع رقعة الإسلام.

◈ **خصائص الفن الإسلامي:**

ونعني به من جهة الزخرفة، أو زخرفة المصحف علىٰ وجه الخصوص، فإنه يختص بجملة من السمات التي تميزه عن غيره، وأبرزها ما يأتي:

١- الاقتصار علىٰ الزخرفة المبسطة:

كان المصحف في بداياته خاليًا من أي صنف من أصناف الزخرفة والزينة، وذلك لقرب العهد من الفترة النبوية الشريفة، والخلافة الراشدة ومن تبعهما بإحسان، اللتين اقتصرتا علىٰ ضرورات الحياة والبعد عن الترف. ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية وطول العهد، بدأت تظهر بعض الزخارف المبسطة، كالخطوط المنحنية والمتموجة حول صفحات المصحف، ثم إنها ربما اتخذت شكل برواز أو إطار حول النص، ثم إن الأمر توسع وتنوع، فدخلت التشكيلات الزخرفية كالدوائر والأزهار والورود وأوراق الشجر، بما يدل علىٰ التوسع الجغرافي والتنوع البيئي، كامل الجبوري (٢٠٠٩)[١].

٢- النهي عن تصوير ذوات الأرواح:

وذلك اتباعًا للنص وامتثالًا للأوامر واجتنابًا للنواهي، لحديث: «**أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة المصورون**» متفق عليه، وليس قصورًا في

(١) كامل سلمان الجبوري، «كشكول الزخرفة العربية والإسلامية»، (٢٠٠٩م)، مكتبة الهلال، بيروت، انظر (ص ٥٧-٩٦).

القدرات الفنية. وهذا يشمل المصحف بطبيعة الحال وعموم العلوم الأخرىٰ.

٣- قابليته لاستيعاب الجديد والتجديد:

ويظهر ذلك من خلال التطور المستمر في الوراقة والأحبار والتلوين والزخارف المبتكرة، حتىٰ إنه بالإمكان صبغ كل فترة بصنف من أصناف الورق والأحبار والزخرفة. مما يدل علىٰ سعة الطاقة الاستيعابية للدين الإسلامي وعالميته وقدرته علىٰ توظيف ما يجمل ويحسن منظر النص.

٤- مرونة الحرف العربي:

نظرًا للمرونة التي يتمتع بها الحرف العربي، فإنه مع تبدل الخلافة وانتشارها فقد استوعب الحرف العربي أممًا وأقوامًا باتت تكتب العربية بقلمها، كالأردية في المشرق، مرورًا بالفارسية، ثم التركية شمالًا بغرب، فأفرغت هذه الشعوب تراثها في تطويع الحرف، وابتكرت ما يناسبها من الزخرفة (انظر الشكل رقم ٩).

٥- استخدام الأشكال الأساسية للحرف العربي:

كانت النقوش مطاوعة للحرف العربي كالاستدارة، ومسايرة الكتابة من اليمين إلىٰ اليسار، وقد ظهرت بواكير هذه النقوش في قبة الصخرة أو العملات المعدنية، كانبي (٢٠١٢م).

٦- مراعاة الأبعاد الأساسية للحروف وأوزانها:

إن النقطة أو الدائرة هي الوحدة الأساسية لتحديد نسب أبعاد الحروف كما أسسها أئمة الخط، ومن ذلك فإن أشكال الزخارف كالدائرة والمثلث والمربع والمضلع، كلها تناسبت مع الحرف العربي، سواء في الخط الكوفي ومرورًا بالثلث والنسخ، والنسخ تعليق، في قالب هندسي يقع في

قلب التصاميم الإسلامية (كانبي، ٢٠١٢)[١].

٧- يلاحظ أنه كلما ابتعدنا عن مكة أو المدينة المنورة نحو الشمال نحو تركيا، أو نحو المشرق كما في إيران وأفغانستان أو بلاد ما وراء النهر، نلاحظ أن النقوش يظهر فيها بعض الأحياء أو ذوات الأرواح، خاصة في كتب العلوم والأدب والفن، كانبي (٢٠١٢)، (انظر الملاحق).

◈ **التزيين:**

كان تزيين المصاحف - وهي درجة أخف من الزخرفة - في بداية نسخها في الفترة المدنية والمكية لا وجود له، نظرًا لقرب العهد النبوي والفترة الراشدية المتصلة بالآخرة، فلم يكن للتزيين حسبان ولا اعتبار، اقتصارًا علىٰ المقاصد والمعاني التي تغني عن أي تزيين أو زخرف. ومع مرور الوقت ظهرت بعض الحليات التي توضح بعض المواضع في السور، كالبداية والنهاية ونحو ذلك، بمعنىٰ أن الأمر ليس للتزيين بل لضرورة معرفة بداية ونهاية السور، مقتصرًا علىٰ بعض المواضع.

أما التزيين: فإنه مع الوقت بدأ يظهر ويتعدد مع التنوع، وأخذ يقرب من الزخرفة، وهو في الحقيقة الذي بدئ به، فيوجد غالبًا في الأعلىٰ، أي: قبل بداية السورة، وقد يتعدىٰ ليحيط بمجمل السورة، بما يشبه البرواز، ويكون أعلىٰ السورة مزينا بأشكال تميز بداية السور بشكل محدد، حتىٰ ينطبع في ذهن القارئ أن هذا هو موضع بداية السورة.

ومع مرور الوقت بدأ ظهور بعض العلامات المميزة في الأخماس،

---

(١) شيلا كانبي، (٢٠١٢)، ترجمة حازم نهار، «الفن الإسلامي»، هيئة أبو ظبي: أبو ظبي، (ص٣١).

والأعشار، والأرباع، وعند الأحزاب، وعند الأجزاء في عدة أشكال، بعضها علىٰ شكل عقد دائرية، أو أقراص مذهبة، أو مربعات لها حليات، أو نجوم عليها دوائر وهي كثيرة الأشكال ومتنوعة. كما أن التزيين قد يزيد ربما ليقرب من الزخرفة أحيانًا خاصة عند الترويسات، ونعني بها رؤوس السور، حيث زيد عليها ذكر رقم الجزء، وبيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية، وعدد الآيات.

أما الغلاف الخارجي للمصاحف: فقد تفنن فيه أصحاب الصنعة، حتىٰ وصلوا إلىٰ ما يسمىٰ باللوحات التزيينية، التي تظهر علىٰ شكل مستطيل كامل أو دائرة أو سداسي أو ثماني، يتخلله أشكال هندسية، مثلثة ومربعة ونجمية ودائرية، متداخلة بشكل متناسق وموزون. وهناك أيضًا تزيينات وزخارف خاصة علىٰ شكل دوائر يقطعها خطان أو عدة خطوط، وأحيانًا علىٰ شكل أقراص مذهبة يخرج منها حليات ذات أشكال مستقيمة أو متعرجة؛ لتدل علىٰ مواضع السجدات بأشكال يتداخل فيها التزيين مع الزخرفة. وقد تنوع حجم المصاحف بحسب حجم وقياس الورق والخط إلىٰ قطع كبير، ومتوسط، وصغير، وصغير جدا. وعادة ما تغلف المصاحف بحسب أحجامها بأغلفة ورقية أو جلدية باللون الأحمر أو البني أو الأسود أو علىٰ درجات مختلفة من هذه الألوان، وتتكون الأغلفة من دفتين، ولها ما يسمىٰ بطية الإغلاق، وهي اللسان الذي يخرج من الغلاف الذي في أول المصحف ليدخل في رباط أو حلية أو طية أخرىٰ في المقابل لإحكام الإغلاق، وذلك للمحافظة علىٰ أوراق المصحف.

وأحيانًا يتم حفر النقوش علىٰ الزوايا الأربع من الغلاف، وكذلك القلب، ويكون الحفر علىٰ شكل بيضاوي رأسي ذي محيط حلزوني

الشكل يحوي رسومات نباتية علىٰ شكل أزهار وأوراق وأغصان، أو يكون التزيين مربعًا أو مستطيلًا مزهرًا وموردًا في الزوايا علىٰ أشكال متعددة.

وأحيانًا تختص الفاتحة بأطر مزخرفة في أول المصحف بشكل مميز، كما أن رؤوس الآي يوضع لها علامات دائرية أو مربعة تميزها، كما أسلفنا (انظر الملاحق).

❁ نسخ وطبع وتزيين المصحف في الكويت:

كان لا بد أن نشير إلىٰ موضوع نسخ المصحف وطبعه في الكويت، وما يتصل بذلك مما مر بنا في سياق الموضوع. يمكن الحديث عن ذلك من خلال التعرض لبعض الأمور التي تتصل به، وهي:

الكتاتيب.

النساخون.

طباعة المصحف.

أما الكتاتيب: فهي من أوائل أماكن التعليم في العالم الإسلامي وهي كذلك في الكويت، وهي صورة مصغرة للمدارس فيما بعد، يتعلم فيها الطالب العلوم الأساسية الضرورية، كأسس الكتابة والقراءة والحساب المبسط. وقد عرفت الكويت الكتاتيب منذ أكثر من قرنين، أي: حوالي عام ١٢٩٥هـ، أما التدريس في المساجد والبيوت فهو قبل ذلك.

وقد كانت الكتاتيب تعتمد علىٰ الكتب المخطوطة والمنسوخة في التعليم التي كانت بيد المعلم، إما علىٰ سبيل الإعارة أو التملك بالشراء أو بالوراثة. وكانت هذه الكتاتيب موزعة في أرجاء المدينة، وقد بلغ عدد

الكتاتيب في الكويت حوالي ٩٢ كُتَّابًا - بضم الكاف وتشديد التاء - سواء للأولاد أو البنات، ولا شك أن الكتاتيب نشَّطت الكتابة والنسخ والوراقة بطبيعة الحال؛ لعدم وجود مطابع آلية.

أما النساخون: فقد اهتم الكويتيون بنسخ الكتب في فترة مبكرة، حتىٰ إن «موطأ الإمام مالك» قد نسخ في الكويت في فترة مبكرة من قبل شخص ربما هو أول ناسخ في الكويت هو: مسيعيد بن أحمد بن مساعد بن سالم، حيث نسخه في جزيرة فيلكا الكويتية، وذلك عام (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م)، بخط نسخي جميل ومشكول، وهي بذلك تعد نسخة نادرة، إذ أن تاريخ تأسيس الكويت كان عام (١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م)، مما يدل علىٰ عناية مبكرة في الكتابة والنسخ.

ومن النساخين الكويتيين عثمان بن سري القناعي، نسخ كتاب «التيسير» علىٰ مذهب الإمام الشافعي عام (١٢١٣هـ)، الحاتم (٢٠٠٤م).

ومن أشهر العلماء النساخين العلامة القاضي الشيخ عبدالله الخلف الدحيان (توفي ١٣٤٩هـ) الذي جمع ونسخ متونًا ورسائل وكتبًا لفقهاء الحنابلة، تعد أصل المخطوطات الوطنية في الكويت.

أما نساخ المصحف الكريم وهو شأن هذا البحث فأشهرهم الشيخ حمد بن عبدالله الفارس (ت ١٢٨٢هـ)، يمتاز خطه بالوضوح والجمال؛ يذكر المطلع عليه والمتأمل فيه بالخط الريحاني أو الطومار - انظر الملاحق - حيث تظهر لوحة لسورة الفاتحة بخطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، طبقًا لما ذكره فارس الفارس (٢٠٠٢م).

أما طباعة المصحف: فهي أيضًا قامت أساسًا علىٰ الخط اليدوي المتقن، ثم بالتالي تنقل إلىٰ الطباعة.

يذكر أن المصحف الأول لدولة الكويت هو مصحف وزارة الأوقاف الكويتية، مجزأ في ثلاثين جزءًا، طبع عام (١٣١٢هـ) وكان الانتهاء من خطه عام (١٢٩٩هـ). المزروعي (٢٠٠٩م).

❋ ❋ ❋

أبرز النتائج والتوصيات

بعد استعراض الخط وأبرز سماته وأحكامه، مع التركيز علىٰ نسخ المصحف يتبين لنا:

أن الخط وتطور القلم كان مسايرًا للتقدم الحضاري، والانتشار المكاني للدين الإسلامي، وأن الأساس في ذلك هو الدين الإسلامي الذي دعا بصراحة إلىٰ القراءة والتعلم بالقلم، وما صاحب ذلك من تطور للورق والوراقة والمداد. لهذا كان تطور الخط ونسخ المصحف انعكاسًا طبيعيًّا متسلسلًا ومتواترًا لانتشار الدين الإسلامي، ويمكن أن نخرج بجملة من النتائج، وهي علىٰ النحو التالي:

أولًا: إن الخط والكتابة هما من صلب ومن أسس الدين الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية، وإن الإسلام يدعو ويشجع الكتابة وتعلمها، وإن ذلك من الدين ومن متطلبات الحياة الاساسية.

ثانيًا: إن الخط كان معروفًا قبل الإسلام، لكنه كان مرتبطًا ببعض الأماكن أو القبائل أو الأفراد، ولم يكن منتشرًا، وأن من كان يكتب ويقرأ كان ينظر له بأنه استوفىٰ شروط الكمال ونبل القدر بين الناس، لهذا فالخط سمة من سمات المروءة وعلو المكانة.

ثالثًا: أكدت نصوص القرآن الكريم علىٰ مكانة القلم والكتابة، وبالمثل أكد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ أهمية الخط باتخاذه للكُتَّاب - بتشديد التاء-

للرسائل، ثم لنسخ المصحف، وقيام الخلفاء الراشدين بعد ذلك ومن تبعهم بإحسان بالعناية بالكتابة، ومن ثم نسخ المصحف الشريف اتباعًا لسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. وأن بداية الكتابة والخط كانت مقتصرة علىٰ ضرورات الحرف بقصد التوضيح، دون حاجة للتزيين والتجويد الزائد استجابة لتلك الفترة، أي: فترة الخلافة الراشدة والقرب من العهد النبوي الشريف.

رابعًا: ظهور الخط المكي والمدني والكوفي كان مؤشرًا لخلوص الخط العربي بما يميزه عن غيره كالخط الحيري والنبطي، وأن نقطة البداية لتجويده وتحسينه كانت حين اتصل بنسخ المصحف الشريف، ومع ظهور بعض الخطاطين الأوائل مثل الضحاك بن عجلان (١٣١هـ) قطبة المحرر (١٥٤هـ) إسحاق بن حماد (١٦٩هـ) وغيرهم ظهرت معالم جماليات الخط.

خامسًا: ظهور عباقرة الخط أمثال ابن مقلة (ت ٣٢٨هـ)، وابن البواب (ت ٤١٣هـ)، وياقوت المستعصمي (ت ٦٩٦هـ)، وحمد الله الأماسي (ت ٩٢٦هـ) وتلامذتهم، وبالطبع قبل ذلك أساتذتهم، كل ذلك قد أكد وأسس فن رسم الحرف وكتابة الخط، كما فتح مجال ابتكار أنواع القلم والخطوط الجديدة، وكان ذلك بمثابة إعلان عام للعناية بالخط والخطاطين.

سادسًا: اتخذ الخط مسارًا جغرافيًّا منطلقًا من مكة والمدينة، ثم خطًا آخر من الكوفة باتجاه شمالي وغربي نحو الشام، ثم غربًا نحو مصر، ثم شمالًا نحو تركيا، بما يؤكد أن مواطن الخط هي حواضر الخط في العالم الإسلامي كمكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وأنقرة أو تركيا الآن.

سابعًا: التنوع الجغرافي الإقليمي ساهم في تعدد وتنوع الأفكار والابتكار في الخط والوراقة والتزيين والزخرفة والأحبار والأقلام، مما أثر علىٰ تزيين السور والمصاحف، وكان ذلك مصاحبًا لتوسع الدولة الإسلامية التي توسع معها هذا التنوع.

ثامنًا: شهد الخط عناية خاصة في العهد العثماني، حين تصدر الخط وتجويده الخلفاء أنفسهم، مما أثر في شهرة الخط والعناية به من قبل السلاطين أنفسهم، الذين احتضنوه وتبنوه علىٰ المستوىٰ الرسمي.

تاسعًا: لعل من أبرز التوصيات التي تدعو لها هذه الدراسة: أنه من الضرورة بمكان أن يعتنىٰ بالخط بطريقة مدروسة مرحلية، تتماشىٰ مع مراحل التعليم العمرية، مع التركيز علىٰ المبرزين الذين تظهر عليهم أمارات الإبداع والعبقرية، وممن يظهر منهم تميز في الخط. كما أنه من الضروري أن تخصص للخط معاهد عليا تربط بنسخ المصحف، وإن أنسب بداية للخط وتعليمه ينبغي أن تكون في المسجد ليجمع الطالب بين تجويد القرآن وحفظه من جهة، وبين تجويد الخط والكتابة كما كان الأولون، حيث جمعوا بين حفظ كتاب الله وحسن نسخه، وكان أحدهم يلقب بالحافظ الخطاط فلان، مع العناية باللغة العربية، ذلك أن اللغة العربية هي وعاء الحضارة وهي لسان الإسلام الناطق، وأن القرآن هو المصدر الخالد للغة العربية، فهو بالتالي مصدر الإبداع المتجدد للخط.

عاشرًا: وأخيرًا، فإن العناية بالخط تتطلب إحياء النسخ اليدوي الأصيل للمصاحف، مع التزيين الضروري الذي يجمل الحرف ويبين مقاطع الآيات والسور، ولا يخرج بالنص عن الذوق الفني الذي تتقبله

النفوس ولا تأباه أو تستنكره، بدلًا من الكتابة بالآلة أو بالحاسوب الذي مهما بلغ من الإتقان فلن يجاري الحرفية اليدوية التي تتصل بروح ووجدان الخطاط، مع استشعاره لعظمة الألوهية والربوبية لله عز وجل. كما يحتاج ذلك أيضًا إلىٰ إحياء لمعالم التراث العربي في الأدب واللغة وعلوم الشريعة والعلوم ذات الصلة؛ لأن ذلك سيكون بمثابة المرجع الذي يركن إليه الخطاطون إذا جف المداد وعجز القلم عن التحرك، فتراثنا غني بشتىٰ ضروب العلم وهو كفيل بربط المبدعين بموروثهم، وحتىٰ لا يتشوه الحرف العربي بسبب قصور المصادر واضطراب الاقتباس، وحين تدخل علىٰ الحرف متغيرات يأوي إليها الخطاط حينما لا يرىٰ بديلًا عنها بسبب قلة ما في يده من معالم حضارته العريقة، فيضطرب قلمه ويتشوه الحرف بين يديه، حتىٰ لو زعم أنه كان به حفيًّا؛ والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

ملحق اللوحـــات

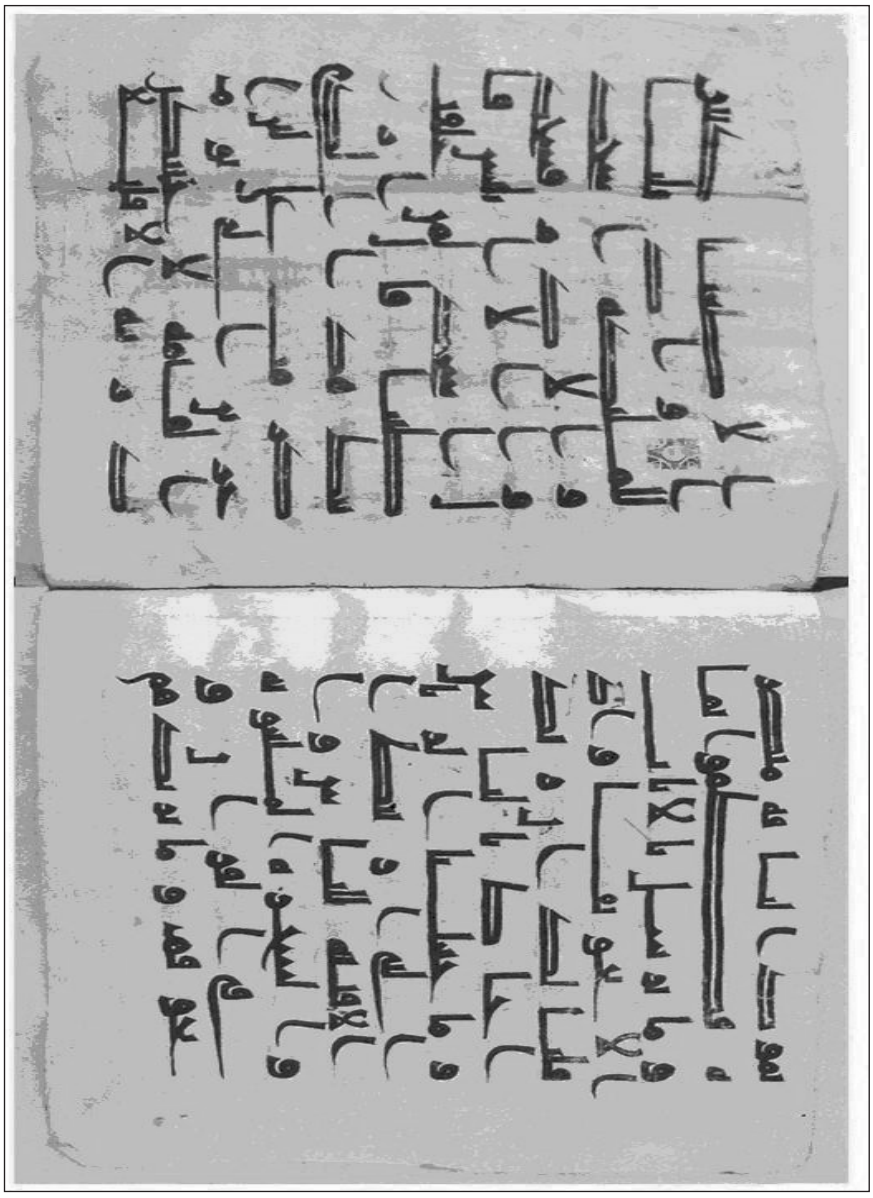

لوحة (١) صفحتان من المصحف الإمام المنسوب للخليفة عثمان بن عفان ذي النورين (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) من سورة الإسراء.

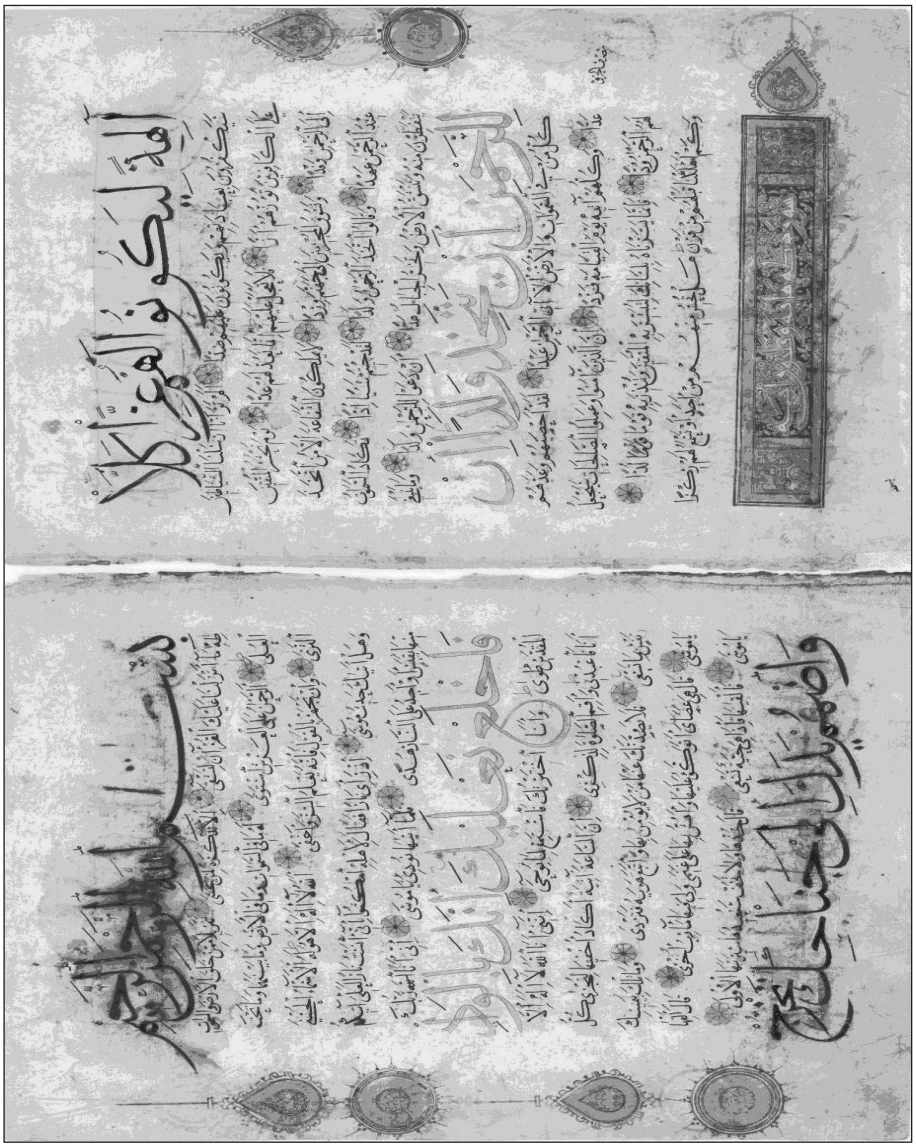

لوحة (٢) صفحتان من آخر سورة مريم وبداية سورة طه من مصحف ابن مقلة بخطه، مع تزيين الهوامش.

لوحة (٣) صفحتان من رسالة ابن مقلة في الخط والقلم وقوانين ضبط ورسم الحرف.

لوحة (٤) سورة الفاتحة وبداية البقرة من مصحف ابن البواب بخطه (من نسخة الباحث شستربتي)، مع التزيين وشيء من الزخارف.

لوحة (٥) آخر صفحة من مصحف ابن البواب عن النسخة الأصلية في شستربتي، وعليها توقيعه.

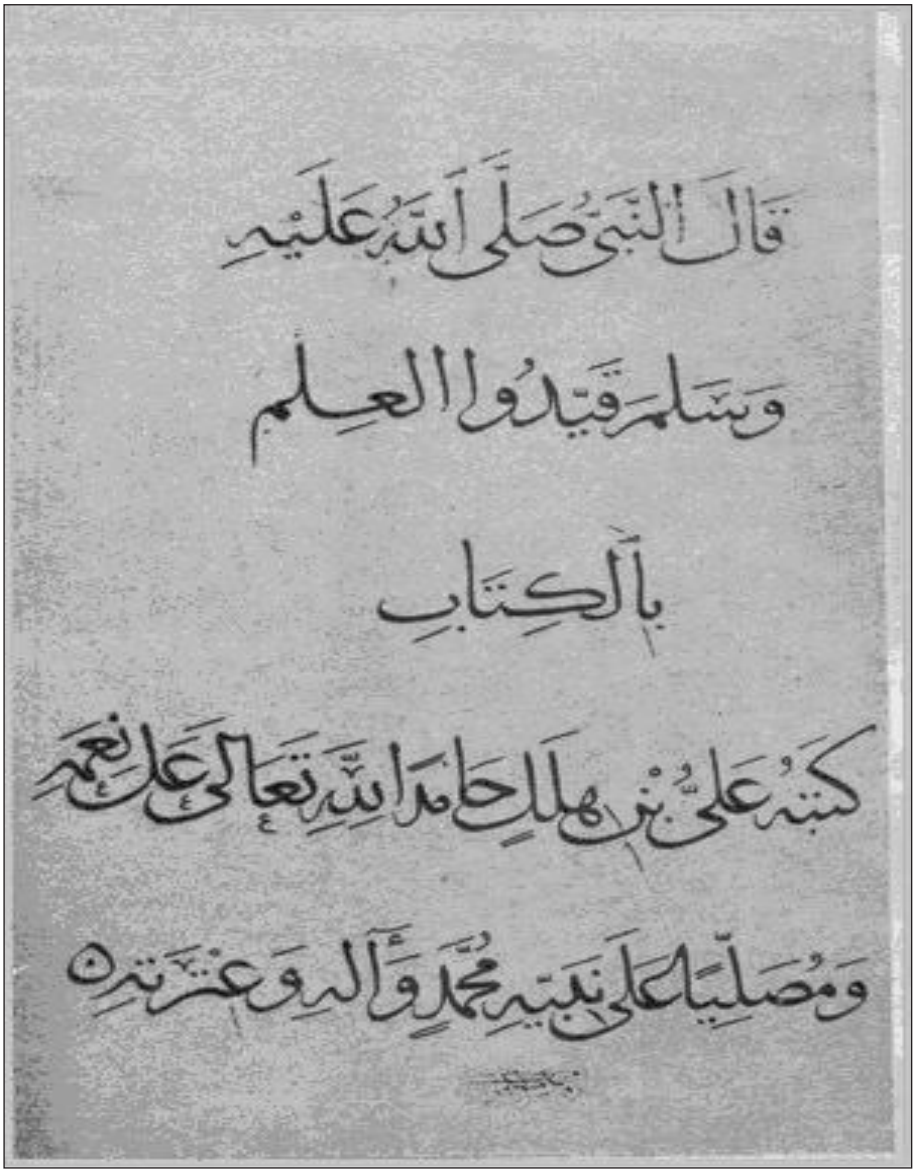

لوحة (٦) حديث نبوي شريف مذيل بتوقيع علي بن هلال أو ابن البواب.

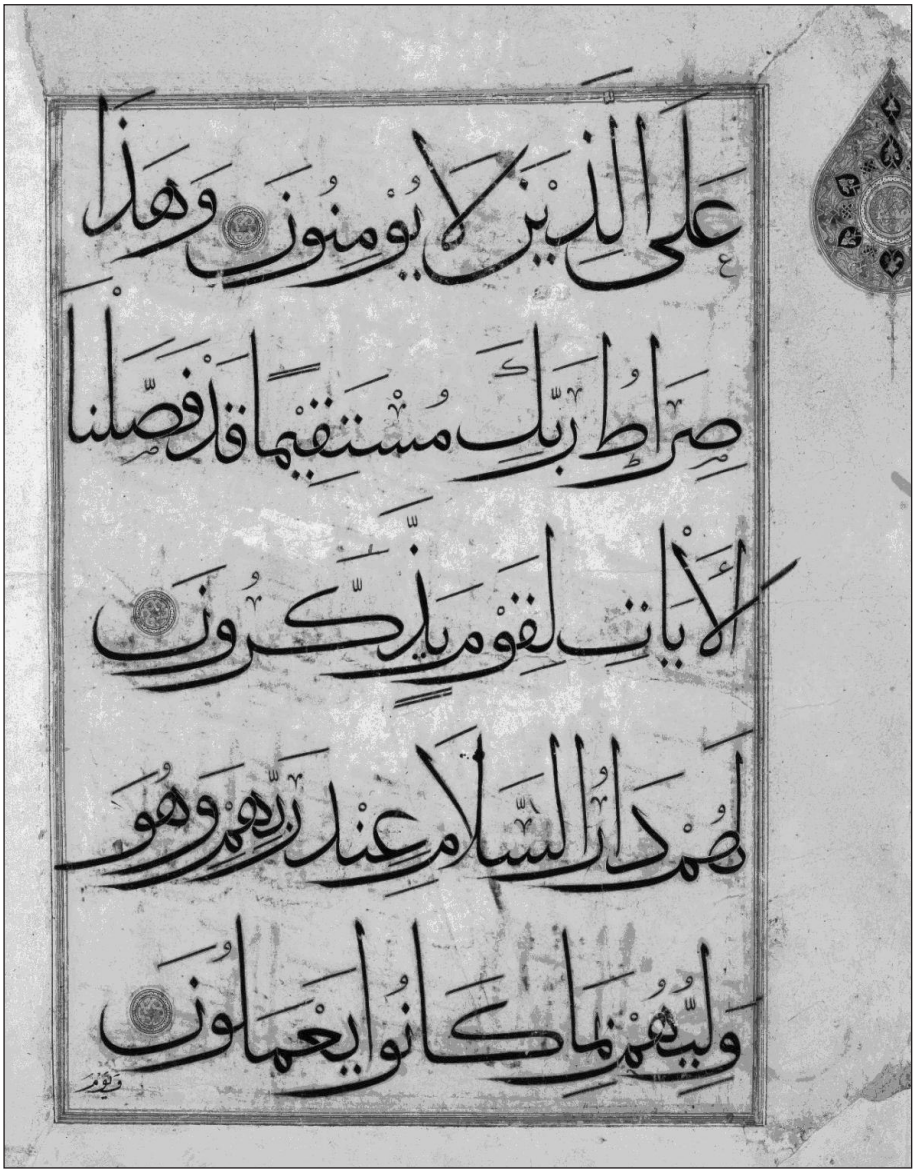

لوحة (٧) صفحة من سورة الأنعام من مصحف ياقوت المستعصمي بخطه.

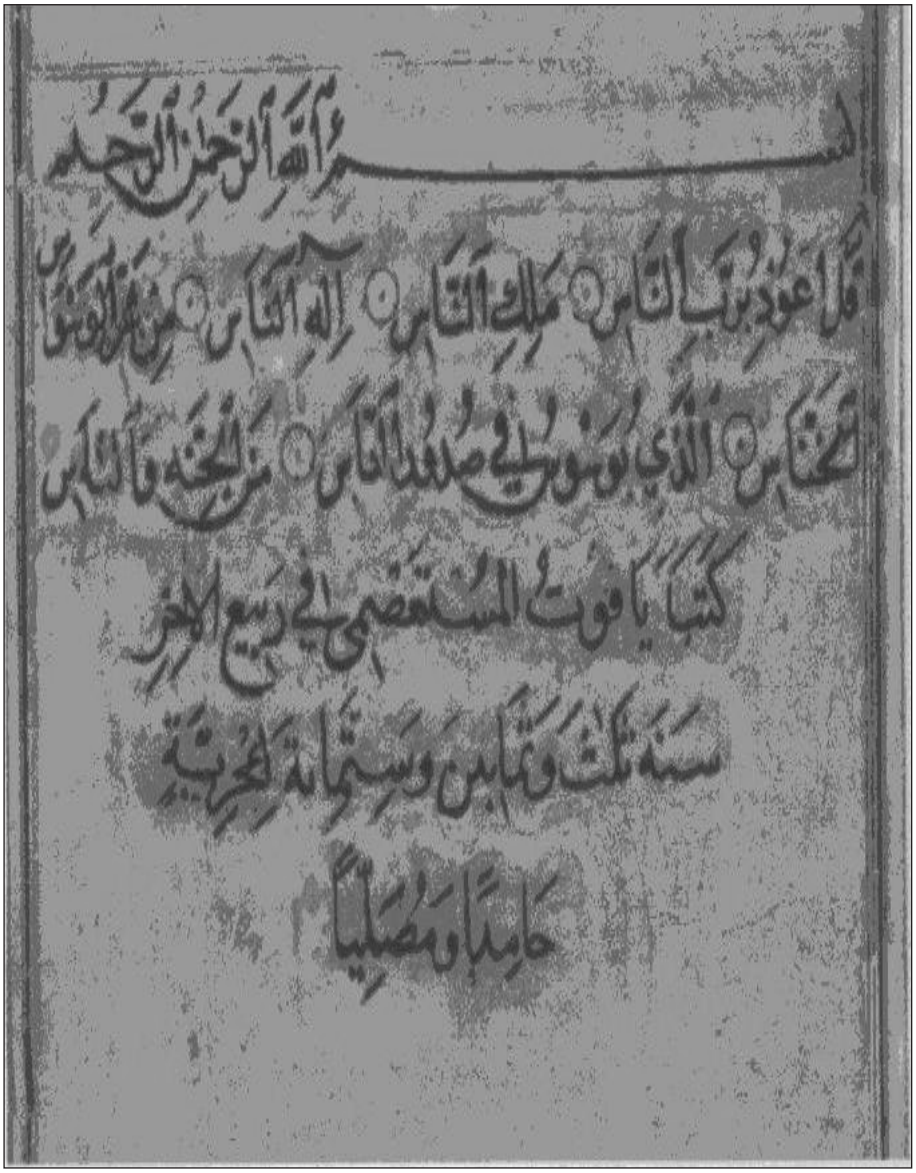

لوحة (٨) سورة الناس بخط ياقوت المستعصمي مذيلة ومؤرخة بتوقيعه.

٥ - أبيات تصف أدوات الكتابة لابن البواب، مجاميع بخط الحلي نسخها لعمر الشهابي، ١٤٤٨هـ/١٤٤٠م، ٢٠,٣ × ١٥,٦ سم. (١١٩ مجاميع م).

لوحة (٩) أبيات مختارة من رائية ابن البواب المشهورة في صناعة القلم والخط، مع تزيين مبسط.

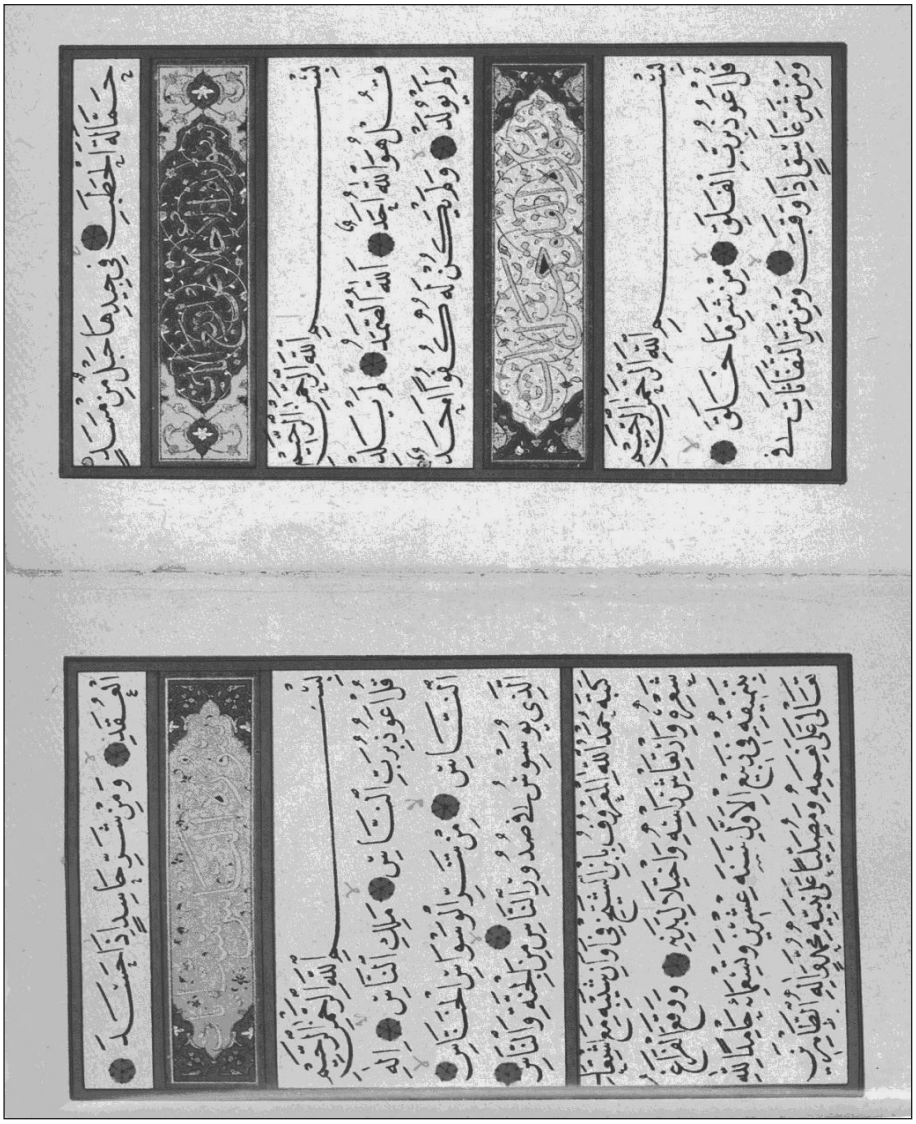

لوحة (١٠) أواخر مصحف حمدالله الأماسي الملقب بياقوت الثاني بخطه، مؤرخ ومذيل بتوقيعه بما يدل علىٰ أنه كتبه في أواخر عمره.

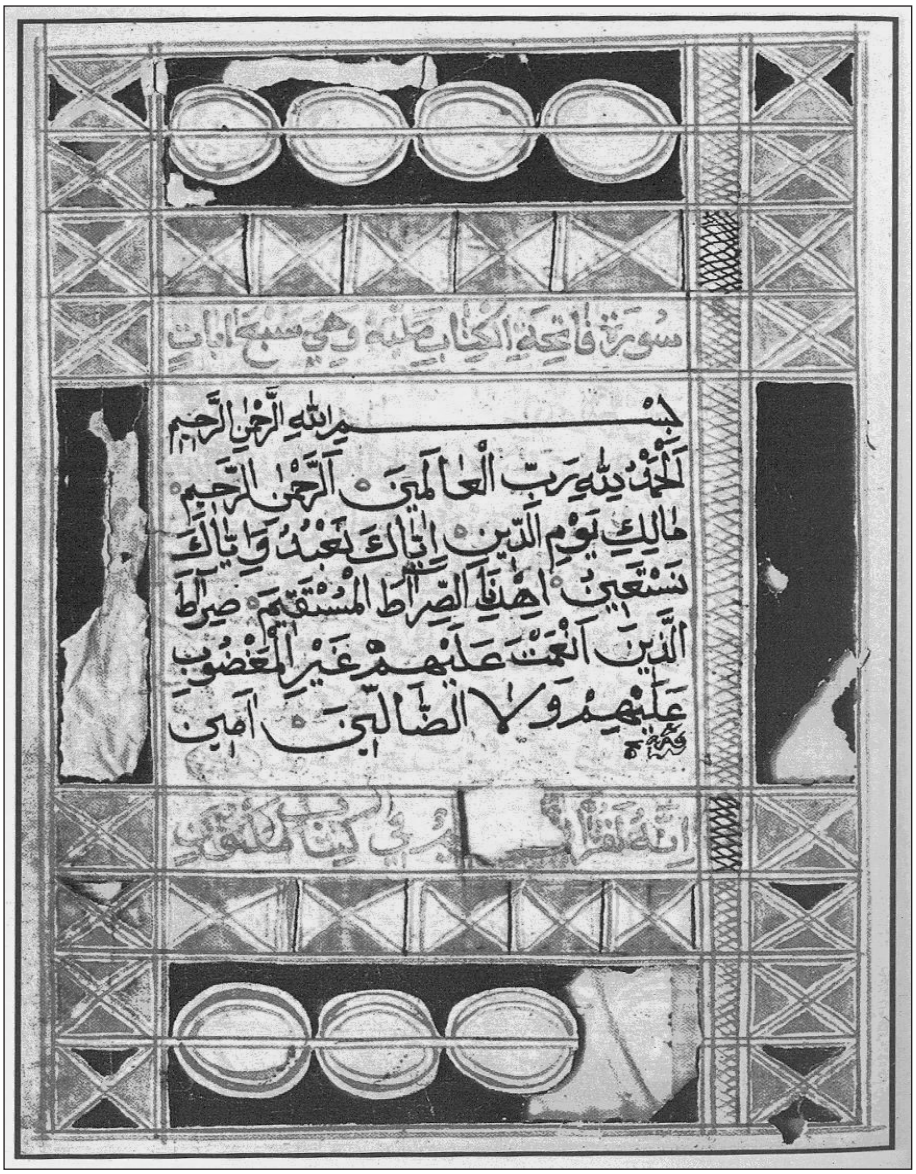

لوحة (١١) سورة الفاتحة من مصحف كويتي بخط الشيخ حمد بن عبدالله الفارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١٢٨٢هـ) لاحظ التزيين المتوافق مع المنطقة.

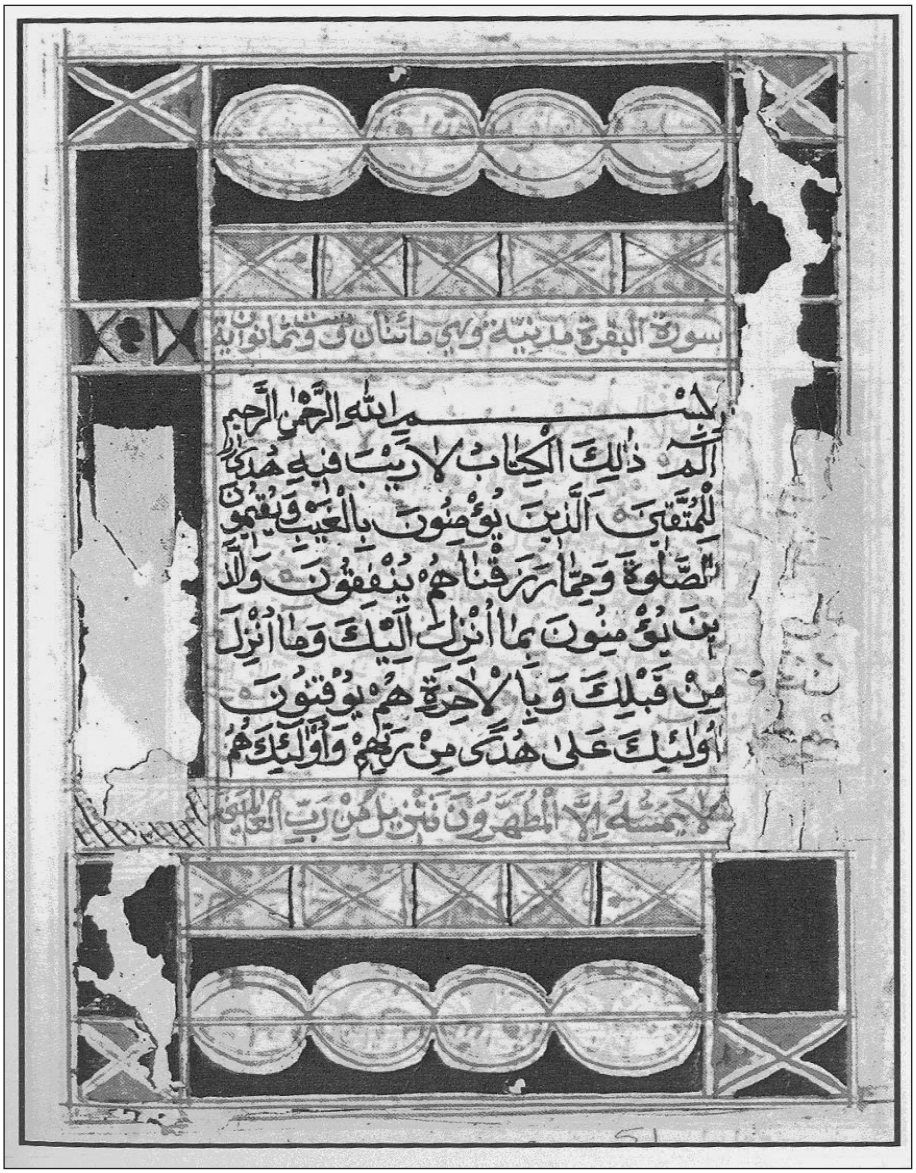

لوحة (١٢) أول سورة البقرة من مصحف كويتي بخط الشيخ حمد بن عبدالله الفارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الملاحق

فهرس الأشكال

فهرس الموضوعات

المصادر والمراجع

(١) إبراهيم جمعة، «دراسة في تطور الكتابات الكوفية»، (١٩٦٧م)، دار الفكر العربي: القاهرة.

(٢) إبراهيم ضمرة، «الخط العربي جذوره وتطوره»، (١٩٨٧م)، مكتبة المنار: الأردن.

(٣) أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، «كتاب الخط»، تحقيق: تركي بن سهو العتيبي، (٢٠٠٩م)، دار صادر: بيروت.

(٤) أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني (ابن أبي داود) «كتاب المصاحف»، تحقيق: سليم الهلالي، (٢٠٠٦م)، مؤسسة غراس: الكويت.

(٥) أبو عبدالله المقدسي، «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» تحقيق ي. دي. خوية، إعادة طبعة ليدن ١٩٠٦، رقم (٢٦) إشراف: فؤاد سزكين، منشورات تاريخ العلوم العربية والإسلامية: فرانكفورت.

(٦) ادهام حنش «خطوط المصاحف» مركز الكويت للفنون الإسلامية، ٢٠١٥م/ ١٤٣٦هـ، الكويت.

(٧) أندريه ميكيل، «جغرافية دار الإسلام البشرية » ١٩٧٢م، ترجمة إبراهيم خوري، دار الحوار: دمشق.

(٨) بشير الحميري، «معجم الرسم العثماني»،(١٤٢٦هـ / ٢٠١٥م)، نشر مركز تفسير الدراسات القرآنية: الرياض.

(٩) الجهشياري، «الوزراء والكتاب » اعتنىٰ به إبراهيم صالح، (٢٠٠٩): هيئة أبو ظبي للثقافة: أبو ظبي.

(١٠) حبيب أفندي بيدابيش، «الخط والخطاطون»، ترجمة وتقديم: سامية محمد جلال، (٢٠١٠م)، المركز القومي للترجمة: القاهرة.

(١١) حسن أبو العينين، «الجغرافيا الطبيعية» (١٩٩٨م)، مؤسسة الثقافة الجامعية: الإسكندرية.

(١٢) حسن قاسم البياتي، «رحلة المصحف الشريف من الجريد إلىٰ التجليد»، دار القلم: بيروت، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(١٣) خضير سلامة، (٢٠٠٣)، «المخطوطات القرآنية في المتحف الإسلامي في الحرم الشريف القدس» دار عارف: المملكة المتحدة.

(١٤) خير الله سعيد، «موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية»، (٣ أجزاء)، (٢٠١١م)، الانتشار العربي: بيروت.

(١٥) شيلا كانبي، «الفن الإسلامي – مجموعة المتحف البريطاني» ٢٠١٣م، ترجمة: حازم نهار، هيئة أبو ظبي للثقافة: أبو ظبي.

(١٦) صلاح الدين البحيري، ١٩٧٨م «مبادئ الجغرافيا الطبيعية»، دار الفكر: دمشق.

(١٧) عبد الفتاح عبادة «انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والغربي» ١٩١٥م، مطبعة هندية: القاهرة.

(١٨) عبدالرحمن ابن الصائغ، «رسالة في الخط وبري القلم»، (١٩٩٧م)، تحقيق: فاروق سعد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر: بيروت.

(١٩) عبدالعزيز الدالي، «الخطاطة: الكتابة العربية»، (١٩٦٩م)، الجيزة: دار النشر (غ م).

(٢٠) عفيف البهنسي، «معجم مصطلحات الخط العربي والخطاطين»، (١٩٩٥م)، مكتبة لبنان: بيروت.

(٢١) «علم المخطوط العربي: بحوث ودراسات»، معهد المخطوطات العربية، إصدار: مجلة «الوعي الاسلامي»، إشراف وإعادة نشر: فيصل يوسف أحمد العلي، رقم (٧٩)، (١٤٢٥هـ/ ٢٠١٤م)، الكويت.

(٢٢) فارس عبدالرحمن الفارس «علماء آل فارس في الكويت» ٢٠٠٢، الحقوق محفوظة: الكويت.

(٢٣) كامل سلمان الجبوري، «كشكول الزخرفة العربية »، (٢٠٠٩م)، دار ومكتبة الهلال: بيروت.

(٢٤) محمد البندوري «جمالية الخط العربي في تقويم النص الشعري بين النقاد العرب القدامىٰ والمحدثين»، (٢٠١٠م)، المطبعة والوراقة الوطنية: مراكش.

(٢٥) محمد طاهر الكردي الخطاط، «تاريخ الخط العربي وآدابه»، ١٣٣٩م، جدة.

(٢٦) محمد عبدالحي الكتاني« التراتيب الإدارية» (٢٠١١م)، مكتبة

نظام يعقوبي، دار البشائر الإسلامية: بيروت.

(٢٧) محمود الجبوري «خط وتذهيب وزخرفة القرآن الكريم حتىٰ عصر ابن البواب» (١٤٣٠هـ/ ٢٠١١م)، الدار العربية للموسوعات: بيروت.

(٢٨) هاشم محمد الخطاط «طبقات الخطاطين» تحقيق: إدهام حنش، (٢٠٠٨م)، دارالكتاب الثقافي: إربد.

(٢٩) ياسر إبراهيم المزروعي «تاريخ طباعة المصحف الشريف في دولة الكويت» (٢٠١٢م)، الهيئة العامة لطباعة القرآن والسنة: الكويت.

(٣٠) ياسين بن كرامة الله مخدوم، ١٤٣١/ ٢٠١٠م «أحكام الكتاب» مكة المكرمة.

(٣١) Said AlSaid A.A-lMuneef The Civilization of Writing ٢٠١١ KingFahad Library: Riyadh

الدوريـــــات:

(١) «حروف عربية»، رقم (٢٠)، السنة السابعة، ربيع الآخر (١٤٢٩هـ-أبريل/ نيسان ٢٠٠٨م)، مجموعة الخط العربي، دبي.

❁ ❁ ❁

فهرس الملاحق

اللوحة	الصفحة
لوحة (١) صفحتان من مصحف الخليفة عثمان بن عفان.....	١٠٢
لوحة (٢) صفحتان من آخر سورة مريم من مصحف ابن مقلة.....	١٠٣
لوحة (٣) صفحتان من رسالة ابن مقلة في الخط والقلم	١٠٤
لوحة (٤) سورة الفاتحة وبداية البقرة من مصحف ابن البواب	١٠٥
لوحة (٥) آخر صفحة من مصحف ابن البواب.....	١٠٦
لوحة (٦) حديث نبوي شريف بتوقيع ابن البواب	١٠٧
لوحة (٧)صفحة من سورة الأنعام من مصحف ياقوت المستعصمي	١٠٨
لوحة (٨) سورة الناس بخط ياقوت المستعصمي وتوقيعه	١٠٩
لوحة (٩) أبيات مختارة من رائية ابن البواب في الخط	١١٠
لوحة (١٠) أواخر مصحف حمد الله الأماسي بخطه وتوقيعه.....	١١١
لوحة (١١) سورة الفاتحة من مصحف كويتي بخط حمد بن عبد الله الفارس ...	١١٢
لوحة (١٢) أول سورة البقرة من مصحف كويتي بخط حمد بن عبد الله الفارس .	١١٣

❋ ❋ ❋

فهرس الأشكال

الشكل الصفحة

شكل (١) «الكتاب الأوائل» ٢٢
شكل (٢) «بعض من كتاب خاتم الرسل والأنبياء محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. ٢٣
شكل (٣) «الخطاطون الأوائل» ٢٩
شكل (٤) «شجرة السلاطين العثمانيين الخطاطين» ٣١
شكل (٥) «مسار الخط الكوفي» ٣٦
شكل (٦) «شجرة الخطوط وروافدها» ٣٧
شكل (٧) «أصول الخط الكوفي وما اشتق منه» ٣٨
شكل (٨) «انتشار المصحف الشريف ومواقع الخط العربي» ٥٩
شكل (٩) «انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والغربي» ٦١

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مدخل	٥
قضايا الدراسة	٦
إشكالية الدراسة	٦
منهج الدراسة	٩
أدبيات الدراسة	١٢
أولًا: النصوص الدالة على فضل الخط والقلم وأحكامه	١٨
الكتاب الأوائل	٢٤
أهمية الخط فتبرز في ثلاثة أمور قبل التعرض لنسخ المصاحف، وهي:	٢٥
(١) أثره في الأحكام الفقهية:	٢٥
(١) أثره في تقليد المناصب:	٢٨
(٣) أثره في الإبداع والابتكار:	٣٩
ثانيًا: نسخ المصحف وأنواع الخط في المصاحف	٤٣
أبرزها الجزم، وهو خط المصحف الإمام:	٤٣
ثانيًا: خط ابن مقلة:	٥٠
ثالثا: خط ابن البواب:	٥٠
رابعًا: خط ياقوت المستعصمي:	٥١
ثالثًا: التوزيع الجغرافي لنساخ وخطاط المصحف	٥٦
رابعًا: العوامل المؤثرة في تطور الخط	٦٢

أما الدين الإسلامي: ٦٣
وأما القرآن الكريم: ٦٣
وأما السنة النبوية الشريفة: ٦٤
أما الفقه الإسلامي: ٦٤
أما إذا ما قرنا ذلك مع الفتوحات الإسلامية: ٦٥
أما التنوع البشري والطبيعي: ٦٦
أما بشأن مدارس تجويد الخط: ٧١
أما تطور القلم العربي: ٧٢
أما بشأن تطور أدوات الكتابة: ٧٥
من خصائص الخط: ٧٩
أما القضية الثانية فهي ميزة الحرف العربي عن غيره من الحروف الأجنبية ٨٣
يمتاز الخط العربي بعدة أمور، منها: ٨٣
البعد التشكيلي والنفسي للخط: ٨٧
زخرفة وتزيين المصحف: ٨٨
نسخ وطبع وتزيين المصحف في الكويت: ٩٣
أبرز النتائج والتوصيات ٩٦
ملحق اللوحات ١٠١
الفهارس ١١٥
المصادر والمراجع ١١٧
فهرس الملاحق ١٢١
فهرس الأشكال ١٢٣
فهرس الموضوعات ١٢٥

❁ ❁ ❁

قائمة إصدارات الوعي الإسلامي

- القدس في القلب والذاكرة
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية
- المجموعة القصصية للأطفال (الأولىٰ)
- الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط
- النقد الذاتي رؤية نقدية إسلامية
- المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح
- الحج ولادة جديدة
- الفنون الإسلامية تنوع حضاري فريد
- لا إنكار في مسائل الاجتهاد
- المجموعة الشعرية للأطفال
- التجديد في التفسير نظرة في المفهوم والضوابط
- مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي
- مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز مجلة الوعي الإسلامي
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام
- موسوعة الأعمال الكاملة الخضر حسين

- علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي
- براعم الإيمان.. نموذج رائد في صحافة الأطفال
- الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره
- الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام
- الحوالة
- التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف فيها عن الإمام مالك بن أنس
- الأصول الاجتهادية التي يبنىٰ عليها المذهب المالكي
- الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة
- التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد
- فقه المريض في الصيام
- القسمة
- أصول الفقة عند الصحابة- معالم في المنهج
- السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات
- لطائف الأدب في استهلاك الخطب
- نظرات في أصول البيوع الممنوعة

- الإعلاء الإسلامي للعقل البشري
- ديوان شعراء الوعي الإسلامي
- ديوان خطب ابن نباتة
- الإظهار في مقام الإضمار
- مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم
- الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي وجهوده في كتابه تهذيب الكمال
- في رحاب آل البيت النبوي
- الصعقة الغضبية في الرد علىٰ منكري العربية
- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب
- معجم القواعد الفقهية ومصادرها
- كيف تغدو فصيحا
- موائد الحيس في فضائل امرئ القيس
- إتحاف البرية فيما جد من المسائل الفقهية
- تبصرة القاصد علىٰ منظومة القواعد
- حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية
- اللغة العربية الفصحىٰ

- المذهب عند - الحنفية- المالكية- الشافعية- الحنابلة
- منظومات أصول الفقه
- أجواء رمضانية
- المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية
- نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده
- دراسات وأبحاث نشرت في مجلة الوعي الإسلامي
- ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه
- التقصي لما في الموطأ من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
- المجموعة القصصية للأطفال (الثانية)
- كراسة لون للأطفال
- موسوعة رمضان
- جهد المقل
- العذاق الحواني علىٰ نظم رسالة القيرواني
- قواعد الإملاء
- العربية والتراث
- النسمات الندية من الشمائل المحمدية
- اهتمامات تربوية

- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب
- القرائن وأثرها في علم الحديث
- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها
- سيرة حميدة ومنهج مبارك
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول
- نظام الوقف
- قراءة في دفتر قديم الأصمعيات
- قراءة أخرىٰ في دفتر قديم الكامل
- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة
- التلفيق وموقف الأصوليين منه
- التربية بين الدين وعلم النفس
- مختصر السيرة النبوية
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح
- دليل قواعد الإملاء
- علم المخطوط العربي

- التراث العربي
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ١)
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه(ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٢)
- مولد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٣)
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٤)
- الاستدراك (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٥)
- جواب العلامة السفاريني (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٦)
- مآخذ العلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٧)
- تحفة الأمين فيمن يقبل قوله بلا يمين (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٨)
- الشذرات الفاخرة (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٩)
- تلوين الخطاب
- التاريخ في الإسلام

- رسالة في الوقف
- أغاريد البراعم
- أخلاقنا الجميلة
- قصص للأطفال
- قواعد العدد والمعدود
- أسرار العربية
- علمائنا وتراث الأمم، القوس العذراء وقراءة التراث
- المسائل الأصولية المستدل عليها بقوله تعالىٰ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾
- إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين
- الحسبة علىٰ المدن والعمران
- عبقرية التأليف العربي
- الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية
- التقريب والإرشاد
- سلسلة أشيائي «قصص للأطفال»
- حكايات لا تنسىٰ مع ديمة
- علاج السمنة أحكامه وضوابطه

- المسجد الأقصىٰ.. أربعون معلومة نجهلها
- تفسير عبدالله بن مسعود الهذلي جمعا وتحليلا
- الإرفاد لمن غدىٰ علىٰ نظم قطر الندىٰ
- القول المأثور في إحياء الصواب المهجور
- أساليب الخطاب في القرآن الكريم
- الأشربة والأطعمة
- قواعد اللغة العربية
- الصرف العربي
- علم البلاغة
- بحور الشعر العربي
- الجداول الجامعة في علوم العربية النافعة
- مفاتيح سور القرآن الكريم
- مجموعة اللغة العربية
- تخريج الحديث
- تطبيقات الحكمة في دعوة أفراد المجتمع
- معالم الحكمة